السنة التاسعة عشرة العدد 195
ربيع الآخر 1447هـ - 2025م

العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فاطمة الزهراء

السلام على المساوي حقها

فاطمة السيدة الزهراء
صلى الله على سيدة النساء
صلى الله على التقية النقية
صلى الله على الحوراء الإنسية
صلى الله على الفاضلة الزكية

حـدث في مثـل هذا الشـهر

أبرز الأحداث التاريخية
لشهر ربيع الآخر

- الثامن منه شـهادة سـيدة نسـاء العالمين فاطمـة الزهراء عليها السـلام سـنة ١١هـ.
- العاشـر منه ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٣٢هـ.
- العاشـر منـه وفـاة السـيدة فاطمـة المعصومـة بنت الإمام مـوسى بن جعفر الكاظم عليهما السـلام (على رواية) سـنة (٢٠١)هـ.

المشرف العام	السيد عيسى الخرسان
رئيس التحرير	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحرير	د. حسين فاضل الحكيم
سكرتير التحرير	هشام أموري السماك
المحررون	هاشم محمد الباججي حيدر رزاق الكعبي عبد الحسن هادي الشافعي حمود حسين الصراف رياض مجيد الخزرجي
التصحيح اللغوي	د. ستار عبد الله العيداني
السلامة الفكرية	فاروق أبو العبرة
تصميم الغلاف وتوليد الصور	حسين علاء التميمي
التصميم والاخراج	صباح حسن الدجيلي
الاعمدة والبوسترات	ضياء نسيم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعام 2008م
رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

فاطمة بنت محمّد الشهيدة المضيّعة

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

جرت سنة الله تعالى في خلقهِ أن يقيّض للعظماء تحريك دولاب التاريخ كلما اقتضت الحكمة الإلهية لذلك، وإذا كان لهذهِ الأمة من عزٍّ أعزّها الله تعالى به، فإنما هو بحضرة النبي الأكرم ﷺ، باعث الحضارة ومحرّك التاريخ، فبفضلِ جهادهِ وصبرهِ وتوثّبه وانبساط شخصيته وعالمية دعوته، ترقّى العقل الإسلامي في مدارج الكمال الإنساني - فكرًا وذوقًا - في فترة قياسية جدًا من عمر البشرية وتاريخ الأمم.

ولم يطلب من حطام الدنيا وأهلها شيئًا سوى أن يستحفظوا الذخيرة الفاخرة التي أودعها بين ظهراني العرب، لأنها صورة معناه وجوهره المذخور، حتى قال عنها: "إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانًا إلى مشاشها".

بلى إنها فاطمة بنت محمد ﷺ درّة التاج، وثمرة النبوّة التي ضيّعها الأعراب وبنو الجاهلية حقدًا وحسدًا، لا لشيء إلا لأنها مثّلت روح النبوة وحرارة الرفض، والشاخص الحي لبروليتاريا الشخصية النبوية وعنفوانها، وإدانتها لكلّ مظاهر القهر والمغالبة والجنف، وهذا ما لا تستمرئه نفوس القوم ولا تقبله طويتهم، في ظل الانقلاب الأيديولوجي والسياسي والبنيوي الذي اعتزموا إحداثه، فما لبثوا إلا أن أقدموا على أنكر جناية بحق النبيين وأبناء النبيين منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة.

إن اغتيال السيدة المخدّرة فاطمة بنت محمد ﷺ داخل فناء منزلها وبين جدرانه، لهو وصمة عار في جبين القوم الذين أركسهم الله وأوكلهم إلى نفوسهم التي غالبت حتى الشياطين في رجسها وغوايتها، فهذهِ الشهيدة المحتجّة مثّلت الجانب البريء والمسالم والأعزل بكل معانيه وتمثّلاته، في قبال هؤلاء الأوباش الذين مثّلوا الدنس والبشاعة واللؤم واحتكار السلطة بأقبح صوره وأشكاله.

وستظل حادثة الدار وما جرى على شهيدة الأمة المضيّعة وزعيمة الإسلام المضطهد، هي السردية الأولى التي تنتهي إليها كل خيبات المسلمين ونكباتهم على امتداد الأجيال واختلاف الشواهد، والحد الفاصل بين دين المتخومين ودين المحرومين، وسيبقى اشتباك الأسنّة حتى يفتح الله على أيدي رجالٍ يعرفهم ويعرفونه، رهبانٌ في الليل وفرسانٌ في النهار، يعقدون البيعة لصاحب الأمر وعميد الزمان، فيعيدون للإسلام بريقه الأول، ولشهيدته الثائرة حقها، عهدٌ معهود وميثاقٌ مأخوذ، والله لا يخلف الميعاد.

٨
قـــــــــاف

١٤
الكلـــم الطيـــب

٢٤
حتى يتفقهوا

٣٠
مـع الحـــــق

٣٦
بلسانٍ علويٍّ مُبين

٤٢
الصِّراطُ المُستقيم

٥٠
لســـانُ الأُمـة

٥٦
قُرَّة الأَعين

٦٨
شؤون دولية

٧٦
الشرق والغرب

٩٠
ذاكرة الأمم

١٠٢
حـوار العـدد

١٠٨
تراث الخزانة العلوية

١١٤
لاذوا بالجوار

قـــــاف

- صِفاتُ اللهِ المشترَكةُ في القرآنِ الكريمِ وفروقُها اللُغويةُ- قراءةٌ في مقالاتِ المُفسِّرين

أ.د عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة/كلية التربية الأساسية

صِفاتُ اللهِ المشترَكةُ في القرآنِ الكريمِ وفروقُها اللُغويةُ- قراءةٌ في مقالاتِ المُفسِّرين

أ.د عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة/كلية التربية الأساسية

وصَفَ الله تعالى نفسَه في القرآن الكريم بصفات كثيرة تجاوزت المائة، اصطُلِح عليها أسماء وصفات أو خلطوا بينها في المصطلح، وهذه الصفات منها ما لم يرد في القرآن الكريم إلا وصفًا خاصّا بالله تعالى انفرد به نحو الرحمن والصمد والخالق والرزّاق وغيرها، ومنها ما كان صفة مشتركة بين الله تعالى وغيره من خلقه وأشياء أخرى، نحو الآخِر والعظيم والكريم وغيرها.

واســـتنادًا إلى قوله تعالى﴿لَيْـــسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السميع البصير﴾ [الشـــورى: ١١]، وجب أن يكـــون ثمة اختـــلاف بين صفاته ســـبحانه وتعـــالى المشـــتركة، ويمكننا تعريـــف الصفات المشـــتركة بأنها الصفات التـــي وردت وصفًا لله تعالى ولغـــيره من خلقه وأشـــياء أخـــرى، ولم تكـــن خاصة بالله تعـــالى، نحو الآخِـــر والأبقى والحســـيب والعليم والكريم وغيرها، ولا أقصد بمصطلح الصفـــة هنا المصطلـــح المتعارف عليه عنـــد النحويـــين بل المقصـــود بهـــا الصفة عند اللغويين بالمصطلح العـــام، أي: ليس بالضرورة أن تُعـــرب الكلمة صفة أو نعتًـــا حتى تدخل في مقالتنا هـــذه، وإنما قد تكون صفـــة، وقد تكون خـــبرًا أو فاعلًا أو مفعولًا أو اســـمًا مجرورًا أو غير ذلك مع احتفاظها بكونها صفـــة، فالنور في قوله تعالى: ﴿اللَّـــهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] صفـــة وإن كان يُعرَب خـــبرًا، و(أبقى) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّـــهُ خَـــيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣]، صفة وإن كان يُعرَب اســـمًا معطوفًا، و(حســـيبًا) في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِـــيبًا﴾ [النســـاء: ٦] صفـــة وإن كان يُعرَبَ تمييزًا.

وقـــد تحـــدّث المفـــسّرون عن صفـــات الله وأســـمائه، وذكـــروا ما هـــو خـــاصّ منها بالله تعالى، ومـــا هو عامّ له ســـبحانه ولغـــيره، قال الطـــبري: "وكانَ لله جـــلَّ ذكره أســـماءٌ قد حرَّم عـــلى خلقه أن يتســـمَّوا بهـــا، خَصَّ بها نفســـه دونهم، وذلـــك مثـــلُ الله والرحمـــن والخالق، وأســـماءٌ أباحَ لهم أن يُســـمِّيَ بعضُهم بعضًا بها، وذلك: كالرحيم والســـميع والبصـــير والكريم، وما أشـــبه ذلك من الأســـماء"[١].

ثـــم جـــاؤوا إلى تلـــك الصفات المشـــتركة وحاولوا أن يفرّقـــوا في معانيها حـــين تكون لله تارة ولغـــيره تارة أخـــرى، فذكـــر الطوسي أن "معنـــى الوكيل في صفـــات الله المتـــولّي للقيام بتدبـــير خلقـــه؛ لأنـــه مالكهـــم رحيـــم بهم، والوكيل في صفة غـــيره إنما يُعقَـــد بالتوكيل[٢]، وقـــال في معنـــى (الوليّ):"والـــوليّ النصير بما يتـــولّى مـــن المعاونة، فـــإذا وُصف تعـــالى بأنه وليّ المؤمن، فلأنـــه ينصره بما يتـــولّى من معونته وحياطتـــه، وإذا وُصِـــف المؤمن بأنـــه وليّ الله، فلأن الله ينـــصره بمعونته، فتجـــري الصفة على هذا المعنـــى"[٣]، وذكر أن الجبـــار في صفات الله صفة التعظيـــم؛ لأنه يفيد الاقتـــدار، وأن الجبار في صفـــة المخلوقين صفـــة ذمّ، لأنـــه يتعظم بما ليس له من العظمـــة، فإن العظمـــة لله تعالى[٤]، وحـــين شرح (التكبّر) قال: "إظهـــار كبر النفس على جميع الأشـــياء، فهو في صفـــة العباد ذمّ، وفي صفة الله مدحٌ"[٥]، وقـــال في المتكبّر: "فأما المتكبر في أوصـــاف الله... فإن له أعـــلى مراتب الكبر، وهو صفـــة ذمٍّ في العبـــاد ومدحٍ في صفة اللـــه تعـــالى"[٦].

وقـــال الثعلبـــي: "إن المالـــك والملـــك هو القـــادر على اســـتخراج الأعيان مـــن العدم إلى الوجـــود، ولا يقدر في الحقيقة عـــلى إخراجها إلّا الله المالـــك،... فأما غيره، فيســـمّى مالكًا ومَلكًا على المجـــاز، والمـــراد بذلك: أنه مـــأذون له في التـــصرّف فيه"[٧].

وذكر ابن عاشـــور في (الملك) أنـــه "الحاكِم في الناس، ولا مَلِك على الإِطـــلاق إلاّ الله تعالى،

وأما وصف غيره بالمَلِك فهو بالإضافة إلى طائفة معيَّنة من الناس"[٨].

ويقول ابن الجوزي شارحًا معنى (الرقيب): "فأما الرقيب، فقال ابن عباس ومجاهد: الرقيب: الحافظ، وقال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو في نعوت الآدميين المُوكَل بحفظ الشيء، المترصّد له، المتحرّز عن الغفلة فيه، يقال منه: رقبت الشيء أرقبه رقبة"[٩].

وذكر الراغب الأصفهاني أن "الكرم إذا وُصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو قوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل/ ٤٠]، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه،... وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم، قال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان/ ١٠]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان/ ٢٦]، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة/ ٧٧]، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء/ ٢٣]"[١٠].

وقال ابن كثير: "وأما الرحيم فإنه تعالى وَصف به غيرَه حيث قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]... والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يُسمّى به غيرُه، ومنها ما لا يُسمَّى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك"[١١].

ومما سبق يتبيَّن أن ثمّة اختلافًا دلاليًا في الصفات المشتركة يصل إلى حدّ التناقض كما في الجبّار والمتكبّر؛ إذ هما في صفة الله مدحٌ وفي صفة الإنسان ذمّ، وأن من دلالات الصفات ما يكون بين المطلق والمقيد نحو الحيّ والملك؛ إذ هما في صفة الله تعالى على نحو الإطلاق وفي صفة غيره على نحو جهة التقييد، وأن ثمّة شيئًا من الترادف الدلالي بين عدد من تلك الصفات مع احتفاظ الباري تعالى بخصوصيّته، نحو العظيم والكريم والكبير في بعض مواضع ورودها، وقد اكتسبت بعض الألفاظ صفةً مشتركة مع الله تعالى؛ لأنها بسببه ومرتبطة به، منها (القرآن) حين وُصف بالكريم.

١. جامع البيان ت شاكر: ١/ ١٣٣.
٢. التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٥٣.
٣. م، ن: ٦/ ٢٠٠.
٤. ظ: م، ن: ٣/ ٤٨٥.
٥. م، ن: ٤/ ٣٦٠.
٦. م، ن: ٥/ ٤١٢.
٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١/ ١١٥.
٨. التحرير والتنوير: ١٥/ ١٧.
٩. زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٣٦٧.
١٠. تفسير الراغب الأصفهاني: ٢/ ٢٩٣.
١١. تفسير ابن كثير، ط العلمية: ١/ ٤٠.

المُؤمنُ تَبعٌ لرَبهِ... يُبغضُ لِبُغضِهِ ويُحِبُ لحُبِهِ

يسعى الإنسان جاهدًا إلى أن تكون حياته حياةً مطمئنة، بيد أننا نجد أنَّ حياة الجاهل بمقام ربه، المُعرِض عن ذكر الله تعالى ينقطع عن ربه ولا يقع بصره على موجود من نفسه وغيره إلّا رآه مستقلًا بنفسه ضارًا أو نافعًا خيرًا أو شرًا، فهو يتقلّب في حياته بين الخوف عما يخاف فوته، والحذر عما يحذر وقوعه، والحزن لما يفوته، والحسرة لما يضيع عنه من جاه أو مال أو بنين أو أعوان، وسائر ما يحبه ويتكل ويعتمد عليه ويؤثره؛ ليذوق العذاب بفؤاد مضطرب قلق، وحشى ذائب محترق، وصدر ضيق حرج؛ لنسيانه ميثاق الله عز وجل.

فمن لم تقر عينه بحُسن ظنه بالله، وتقطعت نفسه على الدنيا حسرات، بينما الوعد الذي قطعه الله عز وجل على نفسه ضمن للمؤمنين الذين يُحسنون ظنهم بربهم العاملين صالحًا بأن يكافئهم بالحُسنى في الدارين، كما يقول عزّ من قائل: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾[النحل: ٣٠].

التعلُّق بملذات الدنيا والخوف من زوالها

التعلُّق بملذات الدنيا تجعل من الإنسان جبانًا قبال تصوّر فراقه لها، وحريصًا على أن لا تفنى تلك الملذات ويسعى لزيادتها، ولكنه في قرارة نفسه يعلم علم اليقين أنها في نقصان وهي زائلة لا محالة، فكلما توالت الملذات وتكاثرت وازداد التعلُق بها ازداد القلق من تركها والرحيل عنها بوقتٍ قصيرٍ قياسًا بما سيلاقيه الإنسان في الآخرة، وعزَّ عليه مفارقتها، فالعلاقة بين الخوف من زوال النعيم الدنيوي وضنك العيش علاقة طردية.

كل ما يصدر من الله سبحانه جميل

ونجد العارف بمقام ربه إذا نظر إلى نفسه وإلى الحياة الدنيا الجامعة لأقسام الكدورات وأنواع الآلام وضروب المكاره من موت وحياة، وصحة وسقم، وسعة واقتار، وراحة وتعب، ووجدان وفقدان، وهو متيقن أنه لا يترشح من لدن الله سبحانه إلا الجميل والخير، فإذا نظر إلى الحياة وهي هكذا لم يرَ مكروهًا يكرهه ولا مخوفًا يخافه، ولا مهيبًا يهابه، ولا محذورًا يحذره، بل يرى كل ما يراه حسنًا محبوبًا، إلا ما يأمره ربه أن يكرهه ويبغضه، وهو مع ذلك يكرهه لأمره، ويحب ما يحب ويلتذ ويبتهج بأمره، لا شغل له إلا بربه، فهذه هي الحياة الطيبة التي لا شقاء فيها، البتة وهي نور لا ظلمة معه، وسرور لا غمّ معه، ووجدان لا فقد معه، وغنًى لا فقر معه، كل ذلك بالله سبحانه.

ظ: الطباطبائي، الميزان: ١/ ١٢٨-١٢٩.

الكلم الطيّب

- حديث: ((إنّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة))- دراسة في سنده وألفاظه في ضوء مباني أهل السنة والجماعة

أ. د. جاسم هاتو فاخر الموسوي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

حديث: ((إنّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة))- دراسة في سنده وألفاظه في ضوء مباني أهل السنة والجماعة

أ. د. جاسم هاتو فاخر الموسوي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

لعلّ من أفدح الخطوب والملمّات التي منّيت بها الشريعة الإسلاميّة، والتي كانت لها آثارها الخطيرة على واقع الشريعة ومستقبلها، هي ما تعرّض له الحديث النبويّ الشريف، من عمليّة حظر ومنع منظّمة ورسميّة، على صعيد التحديث به وروايته وتدوينه، والذي استمرّ زهاء قرن من الزمن، في الوقت الذي لم تتبوّأ التعاليم الإسلاميّة مكانتها الطبيعيّة بعدُ في ذهنيّةُ الأُمّة ووجدانها؛ لأنّ قطّاعات واسعة منها كانت حديثة عهد بهذا الدين الجديد، مع الانتشار المطّرد الذي شهده الإسلام قبيل وبعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ودخول الناس أفواجاً واعتناقهم للدين الإسلامي، والذي لم يفهموا منه سوى النطق بمفردات الشهادة وبعض مبادئه الأوّليّة، فكانوا بأمسّ الحاجة للسنّة النبويّة وأحاديث الرسول؛ ليأخذوا منها معالم دينهم، ويعرفوا ما يترتّب عليهم من تكاليف وواجبات.

وقد خلقت هذه الظروف والمعطيات أجواءً مناسبة وفرصاً سانحة للطامحين والطامعين في الاستحواذ على مقاليد الحكم والسيطرة على مقدّرات الأمّة، وخصوصاً بني أُميّة الذين كانوا يرون في مسألة خلافة النبيّ وإمرة المؤمنين صراعاً على السلطة والحكم، وليست هي من صميم الإسلام وتعاليمه؛ لذا كان لا بدّ لهم من الاستعانة بكلّ الوسائل من أجل تحقيق هذه الغاية، وفي مقدّمتها إزاحة كلّ من يقف في طريقهم بكلّ السبل، ولم يكن في الأمّة من يمتلك المقوّمات الشرعيّة والذاتيّة لتولّي أُمور هذه الأُمّة وقيادتها غير أهل البيت عليهم السلام.

فكان ثمة سعي لتجريدهم من كلّ ما يؤهّلهم للقيادة، ومن أهمّها هو ذلك الرصيد الضخم من الأحاديث والبيانات النبويّة التي تشير إلى ضرورة أن يتولّى أهل البيت عليهم السلام قيادة سفينة الأُمّة الإسلاميّة، والإبحار بها نحو

شـــواطئ الأمن والأمان، فعمل بنـــو أُميّة، وفي طليعتهم معاوية بن أبي ســـفيان ـ وفي ظلّ غياب الرقابـــة على الحديـــث النبويّ إثـــر عمليّة المنع ـ على محاربة أهـــل البيت عليهم السلام وطمـــس فضائلهم ومناقبهـــم، فتعاملوا مـــع أحاديث الرســـول الأكـــرم صلى الله عليه وآله الخاصّـــة بأهل البيـــت عليهم السلام التي تعطيهـــم الشرعية الحقيقيـــة والمكانـــة الطبيعيّة لهم في وســـط الأُمّة، بشـــتّى الطرق والأساليب، كوضـــع الأحاديث على لســـان النبـــيّ في مدح خصومهـــم؛ إمّا عـــن طريق اختـــلاق الفضائل لهم، أو تقليدهـــم فضائل أهـــل البيت عليهم السلام على نحـــو المقابلة، أو تحوير بعـــض الأحاديث بحيث تفقـــد اختصاصها بهـــم؛ إمّا بإضافـــة شيء إلى الحديث أو خلق ســـبب أو مناســـبة لـــه تفرغه من محتـــواه الخـــاصّ بشرعيتهم عليهم السلام.

ومن تلـــك الأحاديث المهمّـــة التي عصفت بهـــا الأهـــواء واكتنفتهـــا المحنـــة التـــي ألمّت بالحديـــث النبويّ الشريف هو حديـــث ((إنّ الله يغضـــب لغضب فاطمـــة ويـــرضى لرضاها))، فهذا الحديث هـــو من الأحاديث التي تؤسّـــس لفضيلـــة عظيمـــة وميزة كبيرة لســـيدة نســـاء العالمـــين، وفي الوقـــت ذاته تقدح بمـــن جُعل بمصافّهـــا أو أفضـــل منهـــا! وقد نال شـــهرة عظيمة بين المســـلمين؛ إذ ســـمعه عدد كبير من الصحابـــة، وتناقله المســـلمون، وهو ذو دلالات كبيرة ومضامـــين خطيرة.

وحتى تتّضـــح حقيقة الأمر سنســـلط الضوء على ســـند الحديـــث وألفاظه فقـــط، وذلك من خلال الآتي:

طرق الحديث

أخرج الطـــبراني في الكبير في (ما أســـند عليّ بن أبي طالـــب) من طريـــق محمّد بـــن عبدالله الحضرمـــي، حدّثنا عبـــدالله بن محمّد بن ســـالم القـــزّاز، حدّثنا حســـين بن زيد بـــن عليّ، عن عليّ بن عمـــر بن عـــليّ، عن جعفر بـــن محمّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحســـين، عن الحســـين بن عـــليّ، عن عليّ، قال: ((قال رســـول الله لفاطمة: «إنّ الله يغضـــب لغضبك ويـــرضى لرضاك))[1].

وأخرجه في (مناقب فاطمـــة) من طريق بشر بن موســـى ومحمّد بن عبدالله الحضرمي[2].

ورواه عـــن الطـــبراني الهيثمـــي في زوائده، وحسّـــن ســـنده؛ حيث قال عقبه: «رواه الطبراني وإســـناده حسن»[3].

وأخرجـــه الحاكـــم في مســـتدركه، وصحح ســـنده؛ حيث قال عقبـــه أيضاً: «هـــذا حديث صحيح الإســـناد ولم يخرجـــاه»[4].

وأخرجـــه ابـــن أبي عاصم عن عبـــدالله بن عمرو بـــن ســـالم المفلوج بمســـند مـــن أهل البيت، عن عـــليّ[5].

وقال المـــزي في التهذيـــب: «وروينا عن عليّ بن الحســـين، عن الحســـين بن عليّ، عـــن عليّ، قال: (قال رســـول الله لفاطمـــة: ((إنّ الله يرضى لرضاك ويغضـــب لغضبك))[6].

وقال ابن أبي الدنيا في (الإخوان): «حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، عن موسى بن إسماعيل، عن عامر بن أبي عامر الخزّاز، قال: قال لنا هاشم بن القاسم: ((ما إخوان الصفا؟، فقلت أنا شيئاً، وقال هذا شيئاً، قال: لا، ولكنّه الذي يغضب لغضبك ويرضى لرضاك))[٧].

تضعيف الذهبي للحسين بن زيد:

تعقّب الذهبي في التلخيص تصحيح الحاكم الآنف لحديث: ((إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»، قائلاً: «بل حسين بن زيد منكر الحديث))[٨].

الجواب عن تضعيف الذهبي للحسين بن زيد:

إنّ جرح الذهبي للحسين بن زيد مردود من وجوه، هي:

الأوّل: أنّ الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب: من رجال ابن ماجة[٩]، وقد وثّقه الدارقطني[١٠]، فهو مختلف فيه؛ ولذا قال عنه ابن حجر في (تقريب التهذيب): «صدوق، ربما أخطأ»[١١].

ومثله يكون حسن الحديث كما هو مقتضى القاعدة في المختلف فيه، وتقدّم نقل أقوال علماء السنّة في ذلك، كتحسين ابن حجر في (تهذيب التهذيب) لحديث عبدالله بن صالح بن محمّد بن مسلم الجهني، وهو مختلف فيه[١٢]، وتحسين الزركشي في (اللآلئ المنثورة) لحديث كثير بن شنظير، وهو مختلف فيه[١٣]، وتحسين الهيثمي في (مجمع الزوائد) لحديث عبدالله بن محمّد بن عقيل، وهو مختلف فيه[١٤]، وتحسين الحافظ ابن قطان في (بيان الوهم والإيهام) لحديث أُسامة بن زيد الليثي، وهو مختلف فيه[١٥]، وتحسين المناوي في (فيض القدير) لحديث أحمد بن بديل، وهو مختلف فيه[١٦]، وغير ذلك.

ويتّضح من ذلك أنّ اختلاف العلماء في توثيق وتضعيف أحد الرواة لا يوجب سقوط الرواية عن الاعتبار، وإنّما يضعها في مرتبة الـ(حسن)، والرواية الحسنة كالرواية الصحيحة من حيث الحجّية لدى علماء السنّة.

وعليه فغاية ما يمكن أن يقال في الحسين بن زيد هو أنّه مختلف فيه، ووفقاً للقاعدة في المختلف فيه تكون روايته في مرتبة الـ (حسن).

الثاني: لم يذكر أحد من علماء الجرح والتعديل ممّن ترجموا للحسين بن زيد إنّه (منكر الحديث). نعم، قال عنه ابن عدي: «وأرجو إنّه لا بأس به إلاّ أنّي وجدت في بعض حديثه النكرة»، لكنّ ذلك لا يقتضي التضعيف عند الذهبي؛ فليس كلّ من روى المناكير ضعيف عنده، قال في (ميزان الاعتدال) ضمن

ترجمته لأحمد بن عتاب المروزي: ((قال أحمد بن سعيد بن معدان: (شيخ صالح روى الفضائل والمناكير)، قلت: ما كلّ من روى المناكير يضعّف))[١٧].

وقال الحاكم: ((قلت للدار قطني: فسليمان بن بنت شرحبيل؟ قال: ثقة، قلت: أليس عنده مناكير؟ قال: يحدّث بها عن قوم ضعفاء، فأمّا هو فثقة))[١٨].

الثالث: هناك اختلاف بينهم في منكر الحديث، فهو عند أحمد بن حنبل وغيره يختلف عنه عند البخاري، فقد يكون الراوي منكر الحديث عند أحمد لكنّه يحتجّ به عند البخاري، قال ابن حجر في (مقدّمة فتح الباري) ضمن ترجمته ليزيد بن عبدالله بن خصيفة الكندي وتوثيقه له، مع قول أحمد بن حنبل فيه (منكر الحديث): ((قلت: هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب على أقرانه بالحديث، عرف ذلك بالاستقراء من حاله، وقد احتجّ بابن خصيفة مالك والأئمّة كلّهم))[١٩].

فقد احتجّ مالك وأئمّة القوم كلّهم بابن خصيفة مع قول أحمد ذلك فيه.

وقال أيضاً في (مقدمة فتح الباري) ضمن ترجمته لمحمّد بن إبراهيم التيمي وتوثيقه له مع قول أحمد بن حنبل فيه: «يروي أحاديث منكرة»: ((قلت: المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد الذي لا متابع له، فيحمل هذا على ذلك، وقد احتجّ به الجماعة))[٢٠].

وقال أيضاً عند ترجمته بريد بن عبدالله: «أحمد وغيره يطلقون المناكير على الأفراد المطلقة»[٢١].

فاصطلاح (منكر الحديث) ليس على وتيرة واحدة من حيث المعنى والدلالة عند كلّ علماء الجرح والتعديل، بل له معان ودلالات متعدّدة عندهم؛ ولذا فقد يكون الراوي منكر حديث عند أحمد بن حنبل، لكنّه حجّة عند البخاري وغيره.

ومن هنا فينبغي الوقوف على معنى اصطلاح (منكر الحديث) عند الذهبي لمعرفة مستوى قدح هذا الاصطلاح عنده في الراوي، وقد صرّح في (تاريخ الإسلام) بمقصوده من هذا الاصطلاح؛ إذ قال بعد أن ذكر قول البخاري في عبدالله بن معاوية الزبيري: «منكر الحديث» وقوله فيه أيضاً: «بعض أحاديثه مناكير»: ((قلت: العبارتان معناهما واحد؛ لأنّ من كان بعض أحاديثه منكرة فهو أيضاً منكر الحديث؛ إذ قولنا في الرجل: (منكر الحديث) لا نعني به أنّ كلّ ما رواه منكر، فإذا روى الرجل جملة وبعض ذلك مناكير، فهو (منكر الحديث)))[٢٢]. فالعبارة صريحة في أنّ الذهبي يرى أنّ الراوي إذا روى جملة من الأحاديث وبعض ذلك مناكير فهو (منكر الحديث).

لكنّ انطباق هذا الملاك على ابن زيد

محـــلّ تأمّل، بل ممنـــوع؛ لأنّه صريـــح كلماتهم ـ ومنهم الذهبي كـــما في عبارته الآنفـــة ـ هو إنّهم يقصـــدون بمنكر الحديـــث هو كثـــرة المناكير في روايتـــه حتّى ينتهـــي إلى أن يقـــال عنه (منكر الحديـــث)، وليس مجرّد روايتـــه للمناكير أو كونه (في بعض حديثـــه النكرة).

قال الســـخاوي عن ابـــن دقيـــق: «قولهم: (روى مناكـــير) لا تقتضي بمجرّده تـــرك روايته حتّـــى تكثر المناكـــير في روايتـــه، وينتهي إلى أن يقـــال فيه: منكـــر الحديـــث؛ لأنّ منكر الحديث وصـــف في الرجل يســـتحقّ به الـــترك بحديثه، والعبارة الأُخرى لا تقتـــضي الديمومة، كيف؟! وقد قـــال أحمد بن حنبـــل في محمّد بـــن إبراهيم التيمـــي: (يـــروي أحاديث منكـــرة)، وهو ممّن اتّفق عليه الشـــيخان، وإليه المرجـــع في حديث الأعـــمال بالنّيات»[٢٣].

ولم يذكر أحـــد ممّن ترجم للحســـين بن زيد مـــا يدلّ على وجـــود المنكر في حديثـــه إلى درجة يســـتحقّ معها كونه (منكـــر الحديث).

وكأنّ الذهبـــي أجـــرى ذلك عـــلى ابن زيد بضميمـــة ما تقدّم مـــن عبارة ابـــن عدي حيث قال عنه: «وجـــدت في بعض حديثـــه النكرة».

لكنّ عبـــارة ابن عـــدي آنفة الذكـــر لا تدلّ على ذلـــك، كيـــف؟ وقـــد قـــال في صدرها: «وأرجـــو أنّه لا بـــأس به».

فقوله: «وأرجـــو أنّه لا بأس بـــه» قرينة على إنّه لم يقصـــد بقوله: «في بعض حديثـــه النكرة»، تلك الدرجـــة التي يســـتحقّ بها تـــرك حديثه، كيف؟ وهـــو من رجال ابـــن ماجة.

ويتّضح ممـــا تقدّم إنّـــه لم يـــصرّح أحد من علماء الجـــرح والتعديـــل بأنّ الحســـين بن زيد (منكر الحديث)، وأن ليـــس كلّ (منكر الحديث) ضعيف ولا يحتجّ بـــه، وأنّ ليس كلّ من في بعض حديثـــه النكرة (منكر الحديـــث)، ومن هنا فقول الذهبي في الحســـين بن زيد بأنّـــه منكر الحديث لا يعنـــي بالضرورة عـــدم الاحتجـــاج بحديثه عـــن بقيّة علماء الســـنّة، بـــل أنّ المـــلاك الذي ذكره الذهبي نفســـه لمنكر الحديـــث لا يجري في الحســـين بن زيد بالبيـــان المتقدّم.

الرابـــع: أنّ المتأمّـــل في كلـــمات علماء الجرح والتعديل الذيـــن قدحوا في الحســـين بن زيد بن عليّ بن الحســـين بن أمـــير المؤمنـــين:، يجد إنّهم لم يقدحـــوا به من جهة نفســـه، فلـــم يتّهمه أحد منهـــم بالكـــذب أو الوضع أو التدليـــس، وإنّما ضعّفوه لعقيدته ومحتـــوى حديثه.

قال المـــزي في (تهذيب الكـــمال) عند ترجمته للحســـين بن زيد: ((قـــال أبو أحمـــد بن عدي: (أرجو إنّـــه لا بأس بـــه إلاّ أنّي وجدت في حديثه بعض النكرة)، وقـــال الزبير بن بـــكّار: (أُمّه أُمّ ولـــد...)، وقال عبّـــاد بن يعقـــوب الرواجني: (رأيت الحســـين بن زيد بن عليّ يجهر بـ «بســـم الله الرحمن الرحيم))»[٢٤].

الخاتمة

حديث الحسين بن زيد صحيح بحسب ضوابط تصحيح الحديث عند أهل السنة إلا أن مضمون الحديث المخالف لعقيدة علماء الجرح والتعديل، وروايته لكثير من فضائل أهل البيت عليهم السلام، وجهره بالبسملة، وكون أُمّه أُمّ ولد، هي أهمّ أسباب قدحهم فيه وحكمهم بنكارة حديثه! وهذا ركن للضوابط.

١. المعجم الكبير: ١/ ١٠٨.
٢. المصدر نفسه: ٢٢/ ٤٠١.
٣. مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٣.
٤. المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٥٤.
٥. حكاه عنه ابن حجر في (الإصابة في تمييز الصحابة): ٨/ ٥٧.
٦. تهذيب الكمال: ٣٥/ ٢٥٠.
٧. ابن أبي الدنيا، الإخوان: ١٢٥.
٨. المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٦٧.
٩. أخرج ابن ماجة في سننه من طريق عبّاد بن يعقوب، ثنا الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ، عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، عن عليّ، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): ((إذا أنا متّ فاغسلوني بسبع قرب، من بئري، بئر غرس)): ١/ ٤٧١؛ وفي ميزان الاعتدال من طريق المقانعي، حدّثنا عبّاد الرواجني، حدّثنا حسين بن يزيد، عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، عن عليّ مرفوعاً: ((إذا أنا متّ فاغسلني بسبع قرب من بئر غرس)): ١/ ٥٣٥.
١٠. حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٢/ ٢٩٤.
١١. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ١/ ٢١٥.
١٢. المصدر نفسه: ٥/ ٢٢٨.
١٣. الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة: ١/ ٤٢.
١٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١/ ٢٦٠.
١٥. ابن القطّان الفاسي، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: ٤/ ٤٢٠.
١٦. المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ١/ ٣٦٩، ونصّ كلامه، قال: ((إذا سئل) بالبناء للمفعول بضبط المؤلّف، (أحدكم أمؤمن هو فلا يشكّ في إيمانه)، أي فلا يقل مؤمن إن شاء الله... (طب عن عبدالله بن زيد الأنصاري) الأوسي ثمّ الخطمي، كوفي شهد الحديبية، قال الهيتمي: وفيه أحمد بن بديل، وثّقه النسائي، وضعّفه أبوحاتم، أي فالحديث حسن، ومن ثمّ رمز المؤلّف لحسنه))
١٧. الذهبي، ميزان الاعتدال: ١/ ١١٨.
١٨. الدارقطني، سؤالات الحاكم: ٢١٧ و ٢١٨.
١٩. مقدّمة فتح الباري: ٤٥٣.
٢٠. المصدر نفسه: ٤٣٦.
٢١. المصدر نفسه: ٣٩٠.
٢٢. الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٢/ ٢٥١.
٢٣. شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيث (شرح ألفيّة الحديث): ١/ ٣٧٣.
٢٤. تهذيب الكمال: ٦/ ٣٧٧.

السلام عليك يا فاطمة

الفرق بين رواية الحديث ودرايته

وردت روايات كثيرة عن الأئمة عليهم السلام تحثُّ المؤمنين على الفهم والدراية برواياتهم، ولا يعتمدون على الرواية فقط من دون التدبر، والفهم السليم لها، فلا يكتفي الفرد بقراءة الروايات فقط من دون أن يفهمها ويعمل بها.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((حديث تدريه خير من ألف ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا))[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل))[2].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم، ومعرفتهم فإن المعرفة هي الدراية للرواية وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان، إني نظرت إلى كتاب لعلي عليه السلام فوجدت في الكتاب: إنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته أنّ الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا))[3].

فالفضل ليس أن يكون الإنسان محدّثاً للحديث فحسب، بل الفضل في استيعابه ودرايته وفهمه؛ وذلك لأنّ كلام أهل البيت عليهم السلام في قمة الفصاحة، والبلاغة فهم عدل القرآن الكريم ففيه العام والخاص والمطلق، والمقيد، والمحكم، والمتشابه والمجمل، والمبين والحقيقة، والمجاز، والكناية والاستعارة وغيرها من وجوه الكلام التي تحتاج إلى تدقيق وفهم سليم.

من هنا ينبغي أن نتعامل مع كلامهم بطريقة سليمة عميقة لا سطحية يمكن من خلالها فهم كلماتهم للاستفادة منها، وهذا في الحقيقة يحتاج إما إلى التخصّص الدقيق في فهم روايات أهل البيت عليهم السلام، أو من خلال الرجوع إلى أهل الاختصاص في تفسير كلماتهم عليهم السلام.

---

١. الشيخ الصدوق، معاني الاخبار: ١/ ٢.
٢. نهج البلاغة: ٥٦٧.
٣. الشيخ الصدوق، معاني الاخبار: ٢/ ٣.

حتى يتفقهوا

مفهوم التقليد ومشروعيته

أ.م.د منذر عبيس متعب
كلية الإمام الكاظم عليه السلام النجف الأشرف

مفهوم التقليد ومشروعيته

أ.م.د منذر عبيس متعب
كلية الإمام الكاظم عليه السلام النجف الأشرف

توطئة:

يرجع الشيعة في معرفة أصول الدين وفروعه بعد النبي ﷺ إلى الثِقلين اللذينِ أوصى النبي ﷺ بالتمسك بهما، وأخبر أنهما موجودان في كل جيل، ولا يفترقان حتى يردا عليه الحوض كما هو متواتر عند الفريقين: الكتاب والعترة، لذا يعتقد الشيعة الإمامية أن الإمام المعصوم من أئمة أهل البيت عليهم السلام مفترض الطاعة من الله تعالى ورسوله، وأن قوله حجة في أصول الدين وفروعه، وفي زمن غيبته يرجعون في فروع الدين إلى المجتهد الجامع للشرائط، يقلدوه في أحكامهم، ويتشددون في شروط الاجتهاد وشروط مرجع التقليد، ويوجبون تقليد أعلم الفقهاء الأحياء.

سيتناول هذا المقال بيان معنى التقليد وأهميته وحاجة الناس إليه والأدلة على وجوبه باختصار شديد غير مخل إن شاء الله تعالى.

الفرع الأول:

مفهوم التقليد والحاجة إليه:

أولا: مفهوم التقليد

أ- التقليد لغة: قال الفيّومي في المصباح: ((قلَّدت المرأة تقليدًا: جعلت القلادة في عنقها، ومنه تقليد الهدي، وهو أن يعلَّق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم أنّه هدي فيكفّ الناس عنه، وتقليد العامل توليته كأنّه جعل قلادة في عنقه))[1].

ب- التقليد اصطلاحًا:

إنّ المعرّفين للتقليد على اختلاف في أقوالهم، فمنهم من جعل التقليد أمرًا سابقًا على العمل بفتوى المفتي، فقد قال السيد اليزدي: ((التقليد: هو الالتزام بالعمل بقول مجتهد معين وإن لم يعمل بعد، بل لو لم يأخذ فتواه فإذا أخذ رسالته والتزم بالعمل بما فيها كفى في تحقق التقليد))[2].

ومنهم من قال إن التقليد هو العمل، كما ذكر العلامة الحلي: ((إنّ التقليد هو العمل بقول الغير من غير حجّة معلومة))[3] ووافقه السيد الخوئي[4] والشيخ محمد إسحاق الفياض[5].

ومنهم من لم يفرق بين الحالين، نحو ما ذهب إليه السيد محسن الحكيم بقوله: "قد اختلفت كلماتهم في تعريف التقليد.... لكن هذا الاختلاف وإن كان - لأول نظرة - ظاهرًا في الاختلاف في معنى التقليد ومفهومه، إلا أن عدم تعرضهم للخلاف في ذلك مع تعرضهم لكثير من الجهات غير المهمة يدل على كون مراد الجميع واحدا، وأن اختلافهم بمحض التعبير"[6].

ثانيا: نشوء الحاجة إلى التقليد

كانت وما تزال سنة الحياة في كل ناحية من مناحيها، وفي أي مجال من الحياة لاحظته تجد أن ممارسته تتطلب معرفة معينة، وأن جزءًا من هذه المعرفة قد يكون واضحًا ومتيسرًا على العموم، ولكن الجزء الأكبر منها غير واضح ويتطلب جهدًا علميًا ومعاناة في الدرس والبحث، ففي المجال الصحي -مثلا- يعلم كل إنسان بحكم التجربة الساذجة في حياته أنه إذا تعرض إلى مناخ بارد فُجأة فقد يصاب بأعراض حمى، ولكنّ كثيرًا من أساليب الوقاية والعلاج لا يعرفها إلا عن طريق الطبيب ولا يعرفها الطبيب إلا بالبحث والجهد، وهكذا الحال في مجال التعمير والبناء ومجالات الزراعة والصناعة على اختلاف فروعها، ومن هنا وجد كل إنسان أنه لا يمكن عمليًا ان يتحمل بمفرده مسؤولية البحث والجهد الكامل في كل ناحية من نواحي الحياة؛ لأن هذا

عادة أكبر من قدرة الفرد وعمره من ناحية، ولا يتيح له التعمق في كل تلك النواحي بالدرجة الكبيرة)[٧]؛ لذلك استقرت المجتمعات البشرية على أن يتخصص لكل مجال من مجالات المعرفة والبحث عدد من الناس فيكتفي كل فرد في غير مجال اختصاص محملًا لهم المسؤولية في تقدير الموقف، والتقليد هو الاعتماد على المتخصصين، فكل مكلّف يريد التعرّف على الأحكام الشرعية يعتمد أولًا على بداهته الدينية العامة، وما لا يعرف بالبداهة من أحكام الدين يعتمد في معرفته على المجتهد المتخصص[٧].

الفرع الثاني

أحكام التقليد وأدلة مشروعيته:

أولا: اقوال الفقهاء في حكم التقليد

ذهب السيد محمد سعيد الحكيم إلى أنه مما أطبق عليه المسلمون فضلًا عن الإمامية، قائلًا: "اجتزاء العامي بالتقليد هو المعروف من مذهب الأصحاب، بل لا يظن فيه الخلاف بينهم، بل الظاهر أنه مما أطبق عليه المسلمون. والظاهر أن خلاف الإخباريين فيه لفظي، لأن المحكي عنهم دعوى أن ما صدر من معاصري الأئمة عليهم السلام واستمرت عليه سيرة السلف والخلف ليس من التقليد، بل هو نظير قبول الرواية المنقولة بالمعنى الذي لا إشكال في جوازه، وأنه لا يجوز تقليد من يجتهد في تحصيل الحكم برأيه، إذ يجب أخذ الحكم عن المعصومين عليهم السلام لا عن غيرهم"[٩].

واعتبر الشيخ محمد إسحاق الفياض أن عملية التقليد ضرورية، بمعنى لا مجال لفهم الأحكام بدونها، قائلا: "إن عملية الاجتهاد والتقليد عملية ضرورية لا تقبل الشك، وتنبع هذه الضرورة في النهاية من ضرورة تبعيّة الإنسان للدين"[١٠].

وفي رد الزعم بأنّ دين الله لا يصاب بالعقول، قال الشيخ المظفر: "وأما ما ورد عن آل البيت عليهم السلام من نحو قولهم: (إن دين الله لا يصاب بالعقول)، فقد ورد في قباله مثل قولهم: (ان لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والائمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول)، والحل لهذا التعارض الظاهري بين الطائفتين، هو أن المقصود من الطائفة الاولى بيان عدم استقلال العقل في إدراك الأحكام ومداركها، في قبال الاعتماد على القياس والاستحسان، لأنها واردة في هذا المقام، أي: أن الأحكام ومدارك الأحكام لا تصاب بالعقول بالاستقلال، وهو حق".[١١].

ثانيا، ادلة مشروعية التقليد:

أ- الاستدلال بالقران الكريم:

قال السيد محمد سعيد الحكيم: "...منها، قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٢] فإن التفقه عبارة عن تعلم الأحكام واستنباطها من أدلتها، وظاهر الإنذار هو الإنذار بما تفقهوا فيه،... فالإنصاف: أن الاستدلال بالآية قريب جدًا، لظهورها في ما نحن فيه بدوًا، وبلا كلفة، فلا حظ"[١٢].

واستُدل كذلك بقوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنبياء: ٤٣] "فإنه ظاهر في أن وظيفة الجاهل السؤال من العالم، والمنصرف إرادة السؤال للعمل، فيكشف عن حجية الجواب، كما يناسبه ظهور القضية في إمضاء سيرة العقلاء المشار إليها آنفًا، لورودها في مقام الاحتجاج على الكفار، وإبطال زعمهم في

امتناع بعث البشر،..."[١٣].

ب- الاستدلال بالسنة المطهرة:

واستدل الفقهاء بالسنة المطهرة أيضًا بالنصوص الكثيرة الواردة في فضل العلم، وتعليمه، والانتفاع به، والرجوع للعلماء والأخذ منهم، فإن تعليم العلم، والانتفاع به، والرجوع للعالم، لا يراد بها خصوص ما أوجب القطع، بل الإشارة إلى ما هو المعروف عند العرف، من أخذ الفتوى من العالم، وقبول قوله، فالنصوص الواردة كثيرة في إرجاع الأئمة عليهم السلام إلى آحاد أصحابهم، كيونس، وزكريا بن آدم، والعمري، وابنه، وكذا ما تضمن حث بعضهم على الفتوى، أو تقريره عليها منهم أبان بن تغلب، ومعاذ بن مسلم النحوي، فإن جواز الإفتاء في مقام العمل بالفتوى يلازم عرفًا جواز العمل بها[١٤].

ج - الاستدلال بطريق الفطرة:

في وجوب التقليد بالفطرة قال السيد عبد الأعلى السبزواري: "هذا الوجوب فطري يجده كلّ عاقل من نفسه بعد علمه بأنّه ليس كالبهائم، وبعد احتمال العقاب في ترك التعرّض له، كما أنّه طريقٌ محض لا نفسيّة فيه بوجه، فيكون المناط كلّه على الواقع، وعليه فحق التعبير أن يقال: لا يصح كلّ فعل وترك إلا مع إحراز المطابقة للواقع، وطريق إحراز المطابقة له في غير الضروريات واليقينيات: إما الاجتهاد أو التقليد أو الاحتياط"[١٥].

د- سيرة المتشرعة: قال السيد محمد باقر الصدر: "... وعلى ذلك جرت سنة المؤمنين والمسلمين منذ عصر الأئمة عليهم السلام إلى يومنا، هذا فقد كان الأئمة عليهم السلام يوجهون السائلين من أبناء الأمصار الأخرى إلى تقليد الفقهاء من أبناء مدرستهم والرجوع إليهم ولا يرون لهم عذرًا في التسامح في ذلك"[١٦].

هـ- بناء العقلاء:

بيّن السيد محمد صادق الروحاني وجوب التقليد بالنص والعقل قائلًا: "ولا كلام أيضًا في ثبوت منصب الفتوى له، وأن للعوام أن يقلدوه وتدل عليه الآيات والروايات وبناء العقلاء على رجوع الجاهل إلى العالم،.."[١٧].

و- عقلًا: بيّن الميرزا جواد التبريزي حكم العقل بوجوب التقليد، قائلًا: "مقتضى العلم الإجمالي بوجود تكاليف شرعية، وجوب الخروج عن عهدتها عقلًا، والخروج عن عهدتها يكون إما بالامتثال العلمي الذي يكون بالتقليد أو بالامتثال بالعلم الذي يكون بالاحتياط، فيتخير بينهما"[١٨].

الفرع الثالث

حرمة التقليد في أصول الدين:

في الوقت الذي أوجبت فيه الشريعة التقليد في فروع الدين من الحلال والحرام حرّمته في أصول الدين، فلم تسمح للمكلّف بأن يقلّد فيها، وقد أوضح السيد الخوئي عدم جدوى التقليد في الأصول، قائلًا: ((والوجه في وجوبه استقلال العقل بوجوب دفع الضرر المحتمل بمعنى العقاب، ولا يتأتى هذا فيما اعتبر فيه اليقين والاعتقاد كما في الأصول كالتوحيد والنبوة والمعاد، لوضوح أنه لا عمل في تلك الأمور حتى يستند فيها إلى قول الغير أو لا يستند، فإن المطلوب فيها هو اليقين والاعتقاد ونحوهما، مما لا يمكن أن يحصل بالتقليد، فلا معنى له في مثلها، بل لو عقد القلب - في تلك الأمور- على ما يقوله الغير لم يكتف به بوجه، إذ المعتبر في الأصول إنما

هو اليقين والعرفان والاعتقاد، وشيء من ذلك لا يتحقق بعقد القلب على ما يقوله الغير، بل هذا هو القدر المتيقن، ما دلّ على ذمّ التقليد واتباع قول الغير في الأصول))[19].

ثم بيّن وجوب الاطمئنان وكفايته في الأصول، قائلًا: "وجوب الاجتهاد مع العجز عنه أكيدًا، إلّا أن هذا لا يعني جواز التقليد، بل يمكن أن ننتقل إلى حالة ثالثة هي الاطمئنان بصحة أصول الدين. والاطمئنان حجة كافية ومعتبرة شرعًا، من أي كان سبب حصوله،..."[20].

وأضاف: "وهذا ما يمكن أن يحصل للعامي بأسلوبين: الأسلوب الأول: ما يكون من العقائد مقدماته واضحة ووجدانية إلى حد تكون حسية أو قريبة من الحس. فيمكن القول: إنه لا يعذر فيها أحد، لذا يذمّ القرآن الكريم من يكذب بالآيات في عدد معتدّ به من الآيات القرآنية، والمقصود بالآيات هنا الدلائل الواضحة على أصول الدين، منها وجود اللهَّ وتوحيده وعدله وكرمه... الأسلوب الثاني: وهو خاص بمن كان في المستوي المتدني بحيث لا يمكنه حقيقة حتى إدراك المستوي الأول الواضح، عندئذ يمكن الاكتفاء منه بمجرد حصول الاطمئنان"[21].

---

١. المصباح المنير ٢: ١٩٧(قلّد).
٢. السيد اليزدي، العروة الوثقى، ١/ ١٤ - ١٥ مسألة ٨؛ ظ: الشيخ محمد حسين الحائري، الفصول الغروية في الأصول الفقهية: ٢/ ١٣٢؛ الآخوند الخراساني، كفاية الأُصول: ٢/ ٤٣٤.
٣. نهاية الأحكام: ١/ ٣٩٨؛ معالم الدين في الأُصول: ٢٣٦.
٤. كتاب الاجتهاد والتقليد: ٤١١؛ الشيخ علي خازم، مدخل إلى علم الفقه عند المسلمين الشيعة: ٥٣.
٥. الشيخ محمد إسحاق الفياض، منهاج الصالحين: ١/ ٨ مسألة ٥.
٦. السيد محسن الحكيم، مستمسك العروة: ١/ ١١.
٧. ظ: الفتاوى الواضحة: ٥.
٨. ظ: الفتاوى الواضحة: ٦.
٩. مصباح المنهاج، التقليد: ٨ - ٩.
١٠. الشيخ محمد إسحاق الفياض، تعاليق مبسوطة على العروة الوثقى: ١/ ١٠.
١١. أصول الفقه: ٢/ ٩٤؛ ينظر كذلك: مصباح المنهاج، التقليد: ٩.
١٢. السيد محمد سعيد الحكيم، معاصر، مصباح المنهاج: التقليد، ٩ - ١٠؛ ينظر كذلك: أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر: ٢/ ٥٥.
١٣. مصباح المنهاج، التقليد: ١١؛ ينظر كذلك: الفتاوى الواضحة، السيد محمد باقر الصدر: ١٠.
١٤. ينظر: مصباح المنهاج، التقليد: ١٣؛ ينظر كذلك: السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة.
١٥. مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: ١/ ٧.
١٦. الفتاوى الواضحة: ٧.
١٧. فقه الصادق عليه السلام ١٦ / ١٦٨.
١٨. صراط النجاة، تعليق الميرزا التبريزي: ٢/ ٤٦٠ - ٤٦١.
١٩. السيد الخوئي، كتاب الاجتهاد والتقليد: ٤١١.
٢٠. ما وراء الفقه: ١٠ / ٢٩٥ - ٢٩٦.
٢١. المصدر نفسه: ١٠ / ٢٩٦.

مع الحـــق

الإمامة
تشريفٌ ولطفٌ إلهي

الشيخ الدكتور ليث عبد الحسين العتابي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

الإمامة
تشريفٌ ولطفٌ إلهي

الشيخ الدكتور ليث عبد الحسين العتابي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

إن الكلام عن الإمامة يستدعي الكلام عن (منصب) الإمامة، أو المنصب المتعلق بالإمامة بوصفها تكليفًا وتشريفًا إلهيًا، ومن المهم بيانها، وتوضيح إشكال من الإشكالات التي أثيرت حول الإمامة، مما هو راسخ في أذهان الناس.

إن الإمامة هي: "استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول... إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله"[1].

فالإمامة هي: الرئاسة والقيادة العامة الشاملة على الأمة الإسلامية في كل الأبعاد والجوانب الدينية والدنيوية.

وهذا ما وضحته كتب العقائد، ولاسيما عند الشيعة الإمامية، فهي منصب يشترط فيه عدة شروط؛ منها النص عليه، والعصمة، كشرطين أساسيين، وهناك شروط أخرى أضيفت ذكرتها الكتب المختصة بذلك.

ومن المعلوم أن الدين ـ الدين الإسلامي ـ قد كمل على يدي رسول اللهَّ ﷺ والنعمة قد تمَّت، وإن اللهَّ تعالى قد رضي لنا الإسلام ديناً في قوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

لكن متى رضي اللهَّ سبحانه وتعالى بهذا الدين واعتبره كاملاً وتامًا؟ وللجواب عن هذا السؤال لا بدّ أن نرجع إلى الحادثة التي حصلت ومناسبة نزول هذه الآية الكريمة التي نزلت في السنة العاشرة للهجرة وعند عودة النبي ﷺ من حجة الوداع عندما نزل جبرائيل عليه السلام بالآية المباركة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [سورة المائدة: ٦٧]

فما هذا البلاغ العظيم والمهم الذي توقفت عليه الدعوة وصحتها وتوقف عليه كمال الدين وجهاد ومعاناة النبي ﷺ والمسلمين طوال ثلاثة وعشرين عاماً، فعندها نُصِب لرسول اللهَّ ﷺ المنبر وصعد عليه وقال ﷺ: ((أيها الناس إن اللهَّ مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ألا من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه))[2]، وبعدها سلَّم المسلمون على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المسلمين.

فاللهَّ تعالى ارتضى هذا الدين واعتبره كاملاً عندما نصَّب الرسول ﷺ إمامًا وعندما جعل خليفة، يكمل دور النبوة في الهداية والرعاية. وهكذا كانت سنَّة الأنبياء السابقين عليهم السلام فإنهم كانوا يوصون إلى أوصياء بعدهم حتى لا يتركوا الأمة في فراغ بل ليهدوا الأمة إلى سبل الخير ويعرِّفوهم طرق التكامل والرشاد.

لقد أثيرت عديد من الشبهات على الإمامة، منها في حقيقة الإمامة: فهل هي جعل إلهي أو لا؟ وأرادوا ربطها بالحكومة، إذ جعلوا كرسي الحكم متممًا لها، ومع عدم تسنم الإمام لكرسي الحكم فإنه غير تام الشروط بزعمهم!؟

والجواب عن هذه الشبهة أن القرآن الكريم قد أولى مفهوم الإمامة اهتمامًا خاصًا، ذلك أن النصوص القرآنية واضحة حول ذلك، وكثيرة كثرة لا يمكن الغفلة عنها أو إغماض الطرف عنها. فإنّ تقوّل القائلون بكون الإمامة لا ذِكر لها في القرآن، أو أنها مذكورة لكن ليس لها فائدة كبيرة، أو أن معناها ليس له خصوصية، كل ذلك يدل إما عن جهل، أو تعمد في تقليل أهمية الإمامة، أو بسبب عداوة حقيقية لهذا المفهوم. ولا بدّ أن نفهم أمورًا أساسية هي العماد في فهم قضية الإمامة والتي منها:

١ـ إن الإمامة جعل إلهي: فالنصوص القرآنية المباركة قد وضّحت ذلك، ومنها النصّ الجليّ الواضح في قضية نبي الله إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**

فَأَتَمَّهُنَّ قَـالَ إِنِّي جَاعِلُـكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَـالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِـي قَـالَ لَا يَنَالُ عَهْـدِي الظَّالِمِـينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]

وهذه الآيـة المباركة تؤكـد أنّ الإمامة هي عهد وجعـل واختيـار واصطفاء إلهي لشـخص معين، تتوافر فيـه الصفـات المطلوبة ليكون محـلّ أهلية ذلك المنصـب الإلهي.

٢ـ الإمامـة غير النبـوة: إن الآيـة (١٢٤) من سـورة البقرة المباركـة ـ المتقدمة ـ تكشـف كون الإمامة غـير النبوة، قـال تعـالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ ذلك أن "اسـم الفاعل في ـ الآيـة المباركة ـ (جاعل) لا يعمـل في المفعـول (إمامًـا) إلا إذا كان بمعنى الحـال أو الاسـتقبال، ولا يعمل في المـاضي، إذ إن النبـوة كانت ثابتة مسـبقًا لإبراهيم عليه السلام، فلا بدّ أن يكـون إعطاء الإمامة لإبراهيـم عليه السلام في الحال أو الاسـتقبال، أي بعد نبوته"[٣].

٣ـ الإمامة مكملـة لمشروع النبوة: فـإنّ الإمامة الإلهية الحقيقيـة المجعولة من الله تعـالى هي امتداد لمهام الأنبياء، وإكمال لرسـالات السـماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْـتَ مُنْذِرٌ وَلِـكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

قال السـيوطي في تفسـير الآية[٧] من سـورة الرعد في تفسـير الدر المنثور: "أخـرج ابن مردويه عن برزة الأسـلمي، قال: سـمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إِنَّـمَا أَنْتَ مُنْـذِرٌ)، ووضع يـده على صدر نفسـه، ثم وضعها على صدر علي ويقـول: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)..."[٤].

٤ـ لا بـدّ أن يكـون الإمـام معصومًـا: فلقد كشـفت الآية (١٢٤) من سـورة البقـرة عن أن العهد والجعـل لا يناله الظالم، في إشـارة إلى أنّ مَن ينـال العهد له شروطـه الخاصة، قال تعـالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْـدِي الظَّالِمِـينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فيتضح بأن الإمـام المجعـول والمنصوص عليه من الله سـبحانه وتعـالى لا بدّ أن يكـون معصومًا، وشرط العصمـة قد أكدتـه الآية المباركـة، وأكدته كذلـك آية التطهـير، ونصّ عليه حديـث الثقلين، وغـير ذلك مـن الأدلة الكثـيرة، التـي دلّت على عصمـة الأئمـة الاثني عشر عليهم السلام.

٥ـ القيـادة الدنيوية غـير القيـادة الدينية: فإن اللبـس قد أصـاب عقولًا كثـيرة، بـأن قرنوا ما بـين كرسي الحكـم والإمامة الإلهية، وهـذه مقارنة غير صحيحـة، فالإمامُ إمامٌ سـواء اسـتلم كرسيّ الحكـم أم لا، والإمام إمام سـواء أكان قائدًا أم فردًا من أفراد الأمـة، فالإمامة الإلهيـة شيء، والمناصب الدنيوية شـيء آخـر.

إن دور الإمـام المعصـوم المنصب مـن قبل الله تعـالى والمنصوص عليـه لا ينحـصر في الحكومة الدنيوية أو السياسـية، وهذه النقطـة بالتحديد محل التبـاس عند أهـل السـنة عمومًا وعنـد طوائف وجماعات من الشـيعة بشـكل خـاص، فالإمامة هدايـة للأمـة في جميع مجـالات الحيـاة، وهداية الأمة تقتـضي نوعًا مـن القيادة أو الإرشـاد، فلا بدّ أن يكون هناك مرشـد يرشـد الباقـين، بل إن القيادة ضرورة عقليـة، فلو كان هنـاك مائة نبي في نفـس الوقت لتحتـم أن يكون فيهم قائد ومرشـد للباقين، وتلك سـنة إلهية لا يمكـن إنكارها، وأكبر دليل على ما تقدم هـو: أن إقصاء أئمـة أهل البيت عليهم السلام عن موقع القيـادة لم يؤثر عـلى إمامتهم، ذلك أن إمامتهـم قد ثبتـت بالجعل الإلهي، كـما أنه لن يؤثر عليهم قبـول الأمة بذلك مـن عدمه، فالجعل الإلهـي والنص النبـوي قد بيّن مكانتهـم، وهذا ما يؤمن به المؤمنـون حقًا.

---

(١) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية: ٦٦.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٢٣/ ١٤١.
(٣) رضي الدين الأسـترآبادي، شرح الرضي عـلى الكافية: ٣/ ٤١٥.
(٤) السـيوطي، الدر المنثور: ٤/ ٦٠٨ ؛ والحاكم الحسـكاني، شـواهد التنزيـل: ١/ ٣٨٦؛ والطـبري، جامـع البيـان: ١٣/ ١٤٢؛ والشـوكاني، فتح القديـر: ٣/ ٧٠.

المهدي الموعود وعصرنا الحاضر

الشيخ الدكتور منجد الكعبي

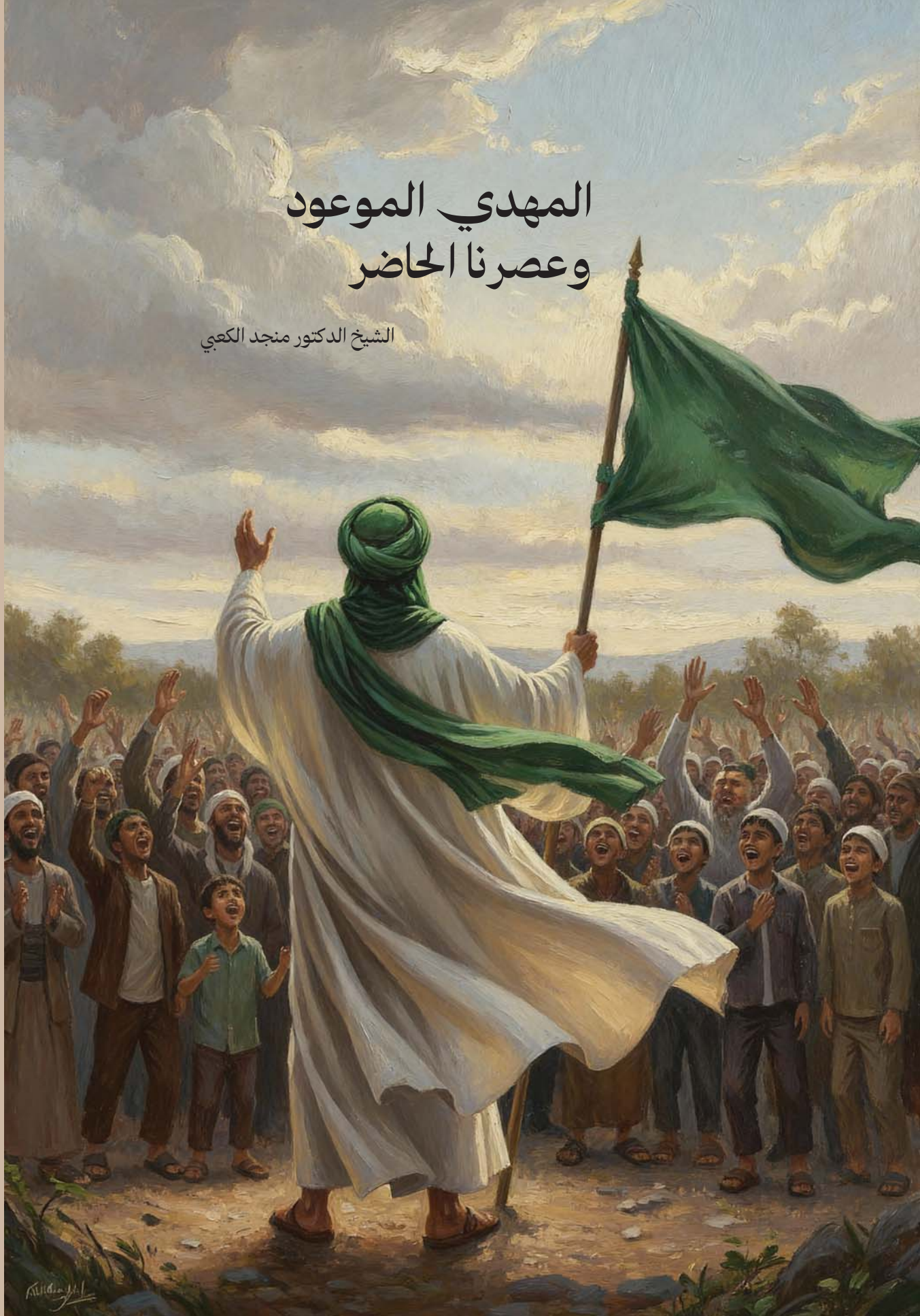

تُعَدّ العقيدة بالمهدي الموعود عجل الله فرجه من أهمّ المعتقدات المشتركة بين المسلمين، بل تجد جذورها في الديانات الإبراهيمية والرسالات السماوية السابقة، فهي تعبّر عن تطلّع فطريّ نحو العدالة الشاملة والخلاص من الظلم والطّغيان.

وفي عصرنا الراهن، ومع تصاعد التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية، تبرز هذه العقيدة كمنارة أمل، تحفظ للمؤمن توازنه النفسي والإيماني، وتوجّه الأمة نحو الصمود بانتظار الوعد الإلهي بالاستخلاف والتمكين.

المحور الأول: الأساس القرآني والروائي والعقيدة بالموعود

ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى وعد الله للمستضعفين بالاستخلاف والتمكين، قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[القصص: ٥].

كما جاء في آية أخرى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [النور: ٥٥].

أما الروايات الشريفة فقد أكّدت هذا الوعد، ومن أبرزها قول النبي صلى الله عليه وآله: ((لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا))[١].

وكذلك ما رُوي عن الإمام علي عليه السلام: ((انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج))[٢].

هذه النصوص ترسم الإطار الشرعي لعقيدة الانتظار، وتجعلها من صميم الإيمان، لا مجرد فكرة عاطفية أو حلم غيبي.

المحور الثاني: التحديات الفكرية والاجتماعية في عصرنا

يعيش العالم المعاصر حالةً من التحولات العميقة، أبرزها:

١. **اليأس وفقدان المعنى**: نتيجةً لكثرة الصراعات والحروب والظلم العالمي، بات الإنسان المعاصر أسيرًا لليأس والقلق. عقيدة المهدي تمنح الأمل وتفتح أفقًا جديدًا للتغيير.

٢. **العولمة والمادية**: مع سيطرة الثقافة المادية والاستهلاكية، تضعف القيم الروحية، وهنا يأتي دور الإيمان بالمهدي ليعيد التوازن ويؤكد أنّ الغاية النهائية للإنسان هي العدل الإلهي لا الهيمنة المادية.

٣. **الاستبداد والظلم**: نشهد في منطقتنا والعالم هيمنة أنظمة استبدادية وقوى غاشمة، مما يرسّخ الحاجة إلى المصلح العالمي الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً.

إذن، فالعقيدة المهدوية ليست فكرة مستقبلية فحسب، بل هي رؤية عملية تعطي المؤمن وعيًا ورسالة في مواجهة الظلم والانحراف.

المحور الثالث: دور العقيدة بالمهدي في صناعة الأمل والمقاومة

من أبرز أبعاد هذه العقيدة أنّها:

١- **تمنح الأمل الفردي والجماعي**: إذ يعيش المؤمن حالة انتظارٍ إيجابي، تدفعه للإصلاح الذاتي والمجتمعي استعدادًا لنصرة الإمام.

٢- **تشجّع على مقاومة الظلم**: فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((كل من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق))[٣]. فالانتظار ليس سكونًا بل حركة.

٣- **توفّر رؤية استراتيجية**: إذ يتيقّن المؤمن أنّ الظلم مهما طال، فمآله إلى الزوال، وأن العدالة ستتحقق بوعد الله.

بهذا المعنى، فإن العقيدة المهدوية هي وقودٌ للثبات والمقاومة في وجه التحديات، وليست مجرّد فكرة غيبية معزولة عن الواقع.

الخاتمة:

يتبيّن لنا أنّ العقيدة بالمهدي الموعود (عجل الله فرجه) ليست مجرد عقيدة غيبية مستقبلية، بل هي عقيدة حاضرة، تُعيد للأمة وعيها وهويتها في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية. ففيها يتحقق التوازن بين الإيمان بالغيب والعمل في الحاضر، بين الانتظار والأمل، بين الحاضر والمستقبل، وهكذا تبقى فكرة الموعود ركيزة أساسية في حفظ الأمة من الانهيار، وتزويدها بدافع الصمود إلى أن يأذن الله تعالى بالفرج الموعود.

---

(١) الكليني، الكافي، ١/ ٣٣٨.

(٢) النعماني، الغيبة: ٢٠٠.

(٣) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٣٨.

بلسانٍ علويٍّ مُبين

■ الإمامةُ في فكرِ أمير المؤمنين عليه السلام
قراءَةٌ تحليليَّة في خُطبِ نهجِ البَلاغَةِ

الباحث: ياسين يوسف اليوسف
البصرة

الإمامةُ في فكرِ أمير المؤمنين عليه السلام
قراءَةٌ تحليليَّة في خُطبِ نهجِ البَلاغَةِ

الباحث: ياسين يوسف اليوسف
البصرة

قضيـةُ الإمامـةِ مـن أهـمِّ القضايـا الفكريَّـةِ والسّياسـيَّةِ في الإسـلام، وقد شَـكَّلتْ محـوَرًا رَئيسـيًّاً في فكـرِ أميرِ المؤمنـينَ علـيٍّ بـن أبي طالب عليه السلام ، فعبر مجموعـة من خطب نهـج البلاغة، نجدُ أنَّ الإمـامَ عَليّاً عليه السلام قـد تناوَلَ الإمامَـةَ بعُمـقٍ فِكـريٍّ ورُوحِـيٍّ، باعتبارِها مسـؤوليةً إلهيَّةً وليسـتْ مُجَرَّدَ سـلطةٍ سياسـيَّةٍ دنيويَّةٍ.

وهنـا سـنقومُ بتحليـلِ مفهـوم الإمامة كمـا وردَ في بعـض خطب نهـج البلاغة الـتي تناولت موضـوع الإمامة مـع التركـيز علـى أبعادهـا الفكريـة، والسياسـية، فضلاً عن مناقشـة تأثـير هذه الرؤيـة على الفكر السـياسي الإسـلامي عـبر العصور.

يؤكد الإمام علي عليه السلام في خطبة له أنَّ الإمامة ليست مجرد اختيار بشري، بل هي مسؤولية تكليفيَّة يُحدِدُها الله سبحانه وتعالى، ففي أحدِ نصوصِ نهج البلاغة، يقولُ عليه السَّلام:

((أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أحقَّ النّاسِ بهذا الأمْرِ أقوَاهُم عَلَيهِ وأعلَمُهُم بأمرِ الله فيهِ))[1].

هنا يشيرُ الإمامُ عليه السلام، ويؤكدُ أنَّ الأحَقَّ بالخلافةِ والإمامةِ هو مَن يمتلكُ القُوة على إدارةِ شؤونِ الأمةِ والدَّولةِ، العالمِ بأوامرِ الله وشريعتهِ من مسائلِ الحلالِ والحرامِ والقضاءِ وغيرها من أمورِ الشريعةِ، وليس بالضَّرورةِ أن يؤيّد بالأغلبيةِ، فالإمامةُ تستندُ إلى العِلمِ والتقوى، وليست قائمةً على معاييرٍ دنيويَّةٍ مثل الثروة أو القوة القبلية.

ويؤكد عليه السلام في مواردَ أخرى أنَّ الإمامةَ امتدادٌ للنبوَّةِ في وظيفتها التوجيهيَّة والتربويَّة، إذْ أنَّها تهدفُ إلى هدايةِ النَّاسِ وفقًا لمنهجِ الله تعالى.

ومِن أبرزِ المفاهيمِ التي طرحها الإمام عليه السلام هو أنَّ الإمامةَ لا تكتملُ إلا بإقامةِ العدلِ، فقد كان يؤكِّدُ أنَّ الحاكمَ يجبُ أن يكون عادلًا في حكمهِ، وأنَّ الظلم هو أعظم خطر يهدد الأمة، فمن خطبة له عليه السلام، يقول:

((والله لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ...))[2].

هذه النظرة تمثل مدى التزام الإمام عليه السلام بالمبادئ الأخلاقيَّة في الحكم، وهو عليه السلام كان يفضِّلُ تحمّل أقسى أنواع الألم والمعاناة على أن يلقى الله تعالى ظالماً لبعضِ عبادهِ، أو غاصباً لشيءٍ من مَتاع الدُّنيا وحُطامها، ويرى عليه السلام أنَّ العدلَ ليسَ مجرَّدَ مبدأ سياسيٍّ، بل هو ضرورة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي، إذ يرى عليه السلام أن الظلمَ يؤدي إلى انهيارِ المجتمعات وتفكّكها.

ومن الأبعاد السياسية للإمامة عند أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام رفضه للحكم الذي يقوم على القوة والغلبة، فمن خطبةٍ له عليه السلام تختصُّ بذكرِ الملاحمِ يقول فيها:

((إنَّما مَثَلي بينكُم كَمَثَلِ السِّراجِ في الظُلمةِ، يستضيءُ به من ولجَها))[3].

ويشير بذلك إلى أنَّ دورَ الحاكم ليس القمع والاستبداد، بل التوجيه والإرشاد، إذ تكون قيادته قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة، فهو يعرض الهداية للأمة، لأنه مصدر الهداية والنور.

وعن نوع العلاقة بين الحاكم والمحكوم شدد الإمام عليه السلام على أنَّ العلاقة بين الحاكم والمحكوم يجب أن تقوم على المسؤولية المتبادلة، حيث يكون الحاكم مسؤولًا عن تحقيق العدالة، ويكون المحكوم مسؤولًا عن الطاعة القائمة على الحقِّ، يقول:

((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً ولَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ - فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ - وتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ - وتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا - وأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ - والنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ والْمَغِيبِ - والإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ والطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ))[4].

إذ تؤكد هذه الرؤية أنَّ الإمامة ليست تسلُّطًا، بل هي عقدٌ اجتماعيٌّ بين الحاكم والأمَّةِ.

الشورى في الحكم عند أمير المؤمنين علي عليه السلام:

وعلى الرغم من أنَّ الإمام عليًا عليه السلام كان يرى أنَّ الإمامة شأن إلهي، إلا أنَّه كان يؤمنُ بالشُّورى ويراها مبدأً مهمّاً من مبادئ القيادة والحكم، بيد

أنّ فهمه عليه السلام كان مختلفاً عن النظرة التي تقول "إنَّ الخليفة ينتخب فقط بالشورى" فهو يعتبرها آلية لتحقيق العدالة والمشاركة في القرار السِّياسي، فالأمة إذا تركت النَّصّ الإلهي عليها أن تختار الأفضل والأكفأ والأتقى والأعلم، وهي - أي الشورى - لا تكون في أصل الإمامة بل في إدارة شؤون الدَّولة؛ لذا أبدى عليه السلام حرصًا شديدًا على استشارة أصحابه والعمل برأي الأمة في القضايا المصيرية، ما يدل على فهمه العميق لأهمية إشراك الناس في الحكم، إذ يقول عليه السلام:

((وإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ - والْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ - فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعَهُمْ ولْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ - أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ - فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا - فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا - فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ - واللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ - فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ - يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ - أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ - واقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ - وتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ - ولَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ - فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ - ولَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ - ويَعِدُكَ الْفَقْرَ - ولَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ - ولَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ - فَإِنَّ الْبُخْلَ والْجُبْنَ والْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى - يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ))[٥].

البعد الروحي للإمامة:

الإمامَةُ عندَ الإمام عليٍّ عليه السلام ليستْ مجرَّدَ منصبٍ سياسيٍّ -كما ذكرنا-، بل هي ولايةٌ روحيَّةٌ تربطُ بينَ القائد والأمة، وتوجِّهُ الناسَ نحو الله،

الإمامَةُ عندِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام ليستْ مجرَّدَ منصبٍ سياسيٍّ، بل هي ولايةٌ روحيَّةٌ تربطُ بينَ القائد والأمة، وتوجِّهُ الناسَ نحو الله عز وجل.

ففي خطبه عليه السلام، يربط الإمام بين الإمامة والهداية، إذ يرى أن الإمام هو دليل الناس إلى الصراط المستقيم.

تأثير فكر الإمام عليه السلام في الحركات الإصلاحية:

لقد مثّل فكرُ الإمام علي عليه السلام مصدرَ إلهام للعديد من الحركات الإصلاحية في التاريخ الإسلامي، حيث اتخذ قادة هذه الحركات من نهجه أنموذجًا في مقاومة الظلم والدعوة إلى الحكم العادل.

وبهذا يتضح لنا عبر قراءة خطب نهج البلاغة وتحليلها أنَّ الإمام عليًا عليه السلام قدَّم رؤية شاملة للإمامة، تجمع بين البعد الإلهي، السِّياسي، والرُّوحي فقد كانت الإمامة عنده تكليفًا ومسؤولية عظيمة، تهدف إلى تحقيق العدالة والهداية.

إنَّ فكر الإمام علي عليه السلام في الإمامة يظلُّ مرجعًا مهمًا لفهم طبيعة القيادة الإسلامية ومقومات الحكم الصالح، كما أنَّ تأثيره استمرَّ عبر العصور، إذ أثرى الفقه والفكر السِّياسي الإسلامي بمبادئهِ العميقةِ التي ما تزال صالحة للتطبيق في المجتمعات المعاصرة.

---

١. ابن أبي الحديد المعتزلي، نهج البلاغة: ٩/ ٢١٥.
٢. المصدر نفسه: ١١/ ١٧٠.
٣. المصدر نفسه: ١٣/ ٦٦.
٤. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٧٧.
٥. المصدر نفسه: ٥/ ١٣٨.

العدالة في نهج البلاغة

الإسلام دين عدالة في الحقوق بين جميع الأطياف، وقد أرست هذه المبادئ وطبقت في عهد الرسول الأعظم محمد ﷺ، ومنذ توليه الرسالة السماوية، إلّا أنها لم تدُم طويلًا ، فقد تعرّضت للانحراف والتشويه بعد رحيله ﷺ، وظهر ذلك جليًا من خلال توزيع العطاء غير العادل بين أبناء المجتمع الواحد، وانتشار وجود أصحاب الأموال الطائلة.

لقد كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الأثر الأهم في وضع الخطط الكفيلة بالإصلاح وتحقيق العدالة، عبر إعلانه شعار (المساواة في العطاء)، إذ لا يوجد تفضيل لأحد على آخر، ودعا عليه السلام أيضاً الى التكافل الاجتماعي والمواساة بين طبقات المجتمع الواحد، كما أمر أمير المؤمنين عليه السلام بمصادرة أموال الطبقة الغنية التي أخذوها ظلماً، إذ أعلن في بداية عهده مصادرة جميع ما أقطعه الخلفاء من القطائع، وما وهبوه من الأموال لبعض الناس، وظهر ذلك واضحًا في كلام له عليه السلام في كتاب نهج البلاغة فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان: ((وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ))[1].

كان الإمام عليه السلام يحث على التكافل الاجتماعي بين الطبقات ومواساة الآخرين، وظهر هذا جليًا في سياسته عليه السلام إذ قام بتطبيق هذه المبادئ على نفسه قبل أن يطبقها على غيره.

١- نهج البلاغة: ١/ ٤٦.

عَمَّ الوجودَ بسابغِ الجودِ الذي ضاقتْ بأيسرهِ الجهاتُ الأربعُ
أنّى تساجلهُ الغيوثُ ندىً ومِن جدوى يديهِ كلُ غيثٍ يهمعُ

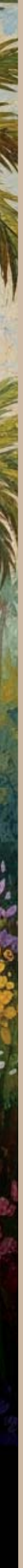

الصِّراطُ المُستقيم

- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بين الإجحاف والإنصاف حديث ((لولا أنْ تقولَ طوائفُ من أمتي)) مثالاً

الشيخ: نهاد الفياض
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

- الخصال التي تفرّد بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من دون غيره

د. ستار جليل عجيل
مديرية تربية ذي قار

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بين الإجحاف والإنصاف
حديث ((لولا أنْ تقولَ طوائفُ من أمتي)) مثالاً

الشيخ: نهاد الفياض
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

من المفارقات العجيبة لدى بعض الناس أنَّه يجهد في تضعيف ما يُروى من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله، في حين نراه يتساهل في قبول الروايات الواردة في غيره!

فإنْ كان التسامح في الرواية جائزاً، فليكن جائزاً في حقّ جميع الروايات، وإنْ لم يكن جائزاً، فليُرفض جميعها، أمَّا قبوله في موضع ورفضه في آخر، فذلك من الكيل بمكيالين.

ما روي في مصنفات الخاصَّة والعامَّة من قول النبي صلى الله عليه وآله في حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام: ((لولا أنْ تقول طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلتُ فيك مقالة يتَّبع أمتي آثار قدميك في التراب فيقبِّلونه))[1]، إذ بالغ بعضهم في تضعيف هذا الحديث الشريف، بل رماه بالكذب والوضع.

وللإنصاف أنَّ هناك عدَّة وجوه علمية تُثبت وثاقة الحديث وتُرجِّح قبوله، فلا وجه للقول بضعفه، فضلاً عن الحكم بوضعه، نذكر قسماً منها:

الوجه الأوَّل:

وجوده في كتب الفريقين، ما يُشير إلى شيوعه في التراث الإسلامي بشكل كبير، فقد ورد ذكره في كتاب سُليم بن قيس الهلالي، وكتاب الكافي للكليني، والأمالي للشيخ الصدوق، وغيرها من كتب الخاصَّة.

كما ورد ذلك أيضاً في كتاب العلل لابن أبي حاتم، وكتاب المعجم الكبير للطبراني، والمناقب للخوارزمي، وغيرها من كتب العامَّة.

الوجه الثاني:

تعدد الطرق لهذا الحديث، إذْ روي عن عليٍّ عليه السلام تارة[2]، وعن أبي رافع تارة أُخرى[3]، وعن جابر بن عبد الله ثالثة[4]، وعن سلمان المحمدي رابعة[5]، ما يدلُّ على تعدد طرقه.

ومن الواضح أنَّ تعدد الطرق من القرائن المهمَّة على الصحَّة والقبول، قال ابن تيمية: (إنَّ تعدد الطرق وكثرتها يُقوِّي بعضها بعضاً حتَّى قد يحصل العلم بها، ولو كان الناقلون فجَّاراً فسَّاقاً، فكيف إذا كانوا علماء عدولاً، ولكن كثر في حديثهم الغلط)[6].

ولعلَّ النكتة في قوله هذا هي صيرورة الحديث مستفيضاً يُطمأن بصدوره وصحته.

وجوده في كتب الفريقين، يُشير إلى شيوعه في التراث الإسلامي بشكل كبير، فقد ورد ذكره في كتاب سُليم بن قيس الهلالي، وكتاب الكافي للكليني، والأمالي للشيخ الصدوق، وغيرها..

الوجه الثالث:

إنَّ روايات العامَّة في مناقب أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم محكومةٌ بوثاقة رجال سندها وصدقهم في تلك الرواية، وإنْ لم يكونوا ثقاتٍ في أنفسهم، ضرورة أنَّ من جملة ما تُعرف به وثاقة الرجل وصدقه في روايته التي يرويها عدم اغتراره بالجاه والمال، وعدم مبالاته ـ في سبيلها ـ بالخطر الواقع عليه، فإنَّ غير الصادق لا يتحمَّل المضار بأنواعها لأجل كذبةٍ يكذبها لا يعود عليه فيها نفع، ولا يجد في سبيلها إلَّا الضرر!

ومن المعلوم أنَّ من يروي في تلك العصور السالفة فضيلةً لأمير المؤمنين عليه السلام أو منقصةً لأعدائه فقد غرَّر بنفسه، وجلب البلاء إليه)[٧]، أمثال النسائي الذي قُتل من أجل ما رواه في حقِّ عليٍّ عليه السلام، ورفضه ذلك في حقٍّ معاوية!

الوجه الرابع:

التسامح في أدلَّة الفضائل، فقد نُقل عند العامَّة والخاصَّة التسامح في أدلَّة الفضائل والمناقب، حتى عُرف من طريقة أحمد بن حنبل وغيره من العلماء التسامح في رواية أحاديث الفضائل دون أحاديث الأحكام[٧].

ومما تقدَّم، يتبيَّن أنَّ الخبر المذكور يُمكن الأخذ به والتعويل عليه في الميزان العلمي، وأنَّ الحكم بضعفه أو وضعه إنما هو ثمرة تقييمٍ مجحفٍ يفتقر إلى روح الموضوعية والإنصاف.

١- كتاب سليم بن قيس: ٤١٢.
٢- يحيى بن الحسين الشجري، ترتيب الأمالي الخميسية: ١/ ١٧٩.
٣- المصدر نفسه: ١/ ١٧٥.
٤- ابن أبي حاتم، العلل: ٣/ ٣٦٩.
٥- كتاب سُليم بن قيس: ٤١٢.
٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ١٨/ ٢٦.
٧- المظفر، دلائل الصدق: ١/ ٧ـ ٢٥.
٨- ظ: ابن حجر، القول المسدد:٢٧.

الخصال التي ميزت أمير المؤمنين عليه السلام عن غيره

د. ستار جليل عجيل
مديرية تربية ذي قار

لم يترك التاريخ فضيلة أو خصلة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا وأشرك معه بعضهم، لكن هنالك بعض الخصال التي تجعل من الصعب على غيره من الناس مشاركته فيها، وقد ذكرتها كتب التاريخ المعتبرة، إذ إن هناك خصالًا ومزايا تفرّد بها الإمام علي عليه السلام وحده من دون غيره، والتي جاءت على محورين مهمين:

المحـــور الأول - الخصال التي تفـــرد بها وجاءت على لسانـه:

لقـــد كان أمير المؤمنين عليه السلام كثـــيراً ما يذكر بعض الخصال التـــي خصّها بـــه الرســـول صلى الله عليه وآله من دون غيره، وهـــو بذلك يذكّـــر قومه بها بعد أن ســـلبوه بعض حقوقـــه، إذ قـــال (عليه الســـلام): ((وأيم الله لو أشـــاء أن أتكلـــم ثم لا يســـتطيع عربيهم ولا عجميهـــم ولا المعاهد منهم ولا المـــشرك بردّ خصلة منها لفعلت))[1].

كما روي عنه عليه السلام أنه قال: ((أُنْشِدُكُمُ اللَّـــهَ، هَلْ فِيكُـــمْ أَحَدٌ آخَى رَسُـــولُ اللهِّ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وآله وَسَـــلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ- إِذْ آخَى بَيْنَ الْمُسْـــلِمِينَ- غَيْرِي! قَالُوا: اللَّهـــمّ لا))[2]، ثم قال عليه السلام أيضـــا: ((أنا عَبْد اللهِّ، وأخـــو رَسُـــول اللهِّ، لا يقولها أحـــد غيري إلا كذّاب))[3].

وفي روايـــة أخـــرى عـــن انـــس بـــن مالك أنـــــه عليه السلام قـــال: ((آخى رســـول الله صلى الله عليه وآله بين المســـلمين وقال لعلي: أنا أخوك وأنـــت أخي))[4].

ولـــه عليه السلام العديد مـــن المناقب والخصـــال التي أن يرددهـــا على المـــلأ ويفتخـــر بها أمـــام الناس، وفي يوم الشـــورى قام عليه السلام للمجتمعـــين وقال لهم: ((أنشـــدتكم بالله أيها النفـــر جميعًا أفيكـــم أحد له عم مثل عمي حمزة أســـد الله وأســـد رســـوله وسيد الشـــهداء، قالوا اللهـــم لا، فقال أفيكـــم أحد له أخ مثـــل أخي جعفـــر ذو الجناحين الموشـــى بالجوهر، يطـــير بهما في الجنـــة حيث يشـــاء، قالـــوا اللهم لا، قال أفيكم أحد له مثل ســـبطيّ رســـول لله الحســـن والحســـين ســـيدي شـــباب أهل الجنة قالوا اللهم لا))[5].

ثـــم أخذ أمـــير المؤمنـــين عليه السلام يفتخر بالســـيدة الزهراء عليها السلام فقـــال: ((أفيكم أحد لـــه مثل زوجي فاطمة بنت رســـول الله صلى الله عليه وآله؟ قالـــــوا: اللهـــم لا))[6].

وقد افتخـــر عليه السلام أيضاً بتاريخه الجهـــادي الذي لم يدانيه فيـــه أحد من رجـــال القوم فقـــال: ((أفيكم أحـــد كان أقتل لمشركـــي قريش عند كل شـــديدة تنزل برســـــول الله مني، قالوا: اللهـــم لا))[7].

ثم ذكّرهم بـــما كان يعمله لرســـول الله صلى الله عليه وآله وقد تفـــرّد بهـــذه الخصلة، وهـــي الـــروح الفدائية التي أقـــرّت بها كتب التاريـــخ، ولم تصفهـــا إلى غيره من الرجـــال فقـــال: ((أفيكم أحـــد كان أعظـــم غناء عن رســـول الله صلى الله عليه وآله، حين اضطجعت على فراشـــه ووقيتـــه بنفسي وبذلـــت له مهجة دمـــي قالوا اللهم لا))[8].

كما ذكّـــر القوم بخصلـــة الطهـــارة التي فضله الله بها عـــلى غيره مـــن المســـلمين إذ قـــال تعالى: ﴿**إِنَّـــمَا يُرِيدُ اللَّـــهُ لِيُذْهِـــبَ عَنْكُمُ الرِّجْـــسَ أَهْلَ الْبَيْـــتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[الاحـــزاب / ٣٣]، وقد ترجمهـــا رســـول الله صلى الله عليه وآله عـــلى الواقع حين ســـدّ أبواب المســـجد إلا بـــاب أمير المؤمنـــين عليه السلام، وقد افتخر بها عـــلى قومه فقـــال عليه السلام: ((أكان فيكم أحد مطهر في كتـــاب الله غـــيري حين ســـد النبي صلى الله عليه وآله أبـــواب المهاجرين وفتـــح بابي، فقام إليـــه عمّاه حمزة والعبـــاس فقالا يـــا رســـول الله ســـددت أبوابنا وفتحـــت باب عـــلي فقـــال رســـول الله صلى الله عليه وآله ما أنا فتحت بابه ولا ســـددت أبوابكم بل الله فتح بابـــــه وســـد أبوابكم))[9].

من الخصال التي سجلت لأمير المؤمنين عليه السلام فاختص بها وحده مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله له، وهذه الخصلة لم نجد في كتب السير والتاريخ لغيره أو أشرك بها معه أحد، إذ اختص به الرسول صلى الله عليه وآله فناجاه يوم الطائف.

تحدى أمير المؤمنين عليه السلام العالم كله عندما انبرى وقال: ((سلوني، فو الله لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَخْبَرْتُكُمْ، وَسَلُونِي عن كتاب الله، فو الله مَا مِنْ آيَةٍ إِلا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ، أَمْ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ))[10].

وله عليه السلام من الخصال الأخروية التي انفرد بها أنه قسيم الجنة والنار، فقال عليه السلام: ((أنا قسيم الجنة والنار))[11]، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الخصلة التي خص الله بها علي بن ابي طالب عليه السلام حين سُئل عن هذا الحديث فنقل الفيض الكاشاني عن المفضل بن عمر أنه قال: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام لِمَ صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيمَ الجنة والنار؟ قال عليه السلام: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، والجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه))[12].

وفي حديث ينقله المكي في كتابه سمط النجوم العوالي قال: ((قال عليه السلام: أَنْشدكُمْ الله هَل فِيكُم أحد قَالَ لَهُ رَسُول الله أَنْت قسيم النَّار يَوْم الْقِيَامَة غَيْرِي قَالُوا اللَّهُمَّ لَا))[13].

وفي رواية عن جابر الأنصاري يذكر فيها إن أمير المؤمنين عليه السلام ساقي حوض رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: ((... ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة؟ والذي نفسي بيده إنك لذائد عن حوضي يوم القيامة: تذود عنه رجالا كما يذاد البعير الضال عن الماء بعصا لك من عوسج، كأني أنظر إلى مقامك من حوضي))[14].

المحور الثاني- الخصال التي تفرد بها وجاءت على لسان غيره:

كثيرة هي الخصال التي تفرد بها عليه السلام، وقد ملأت ما بين الخافقين، وامتلأت بها الكتب، إذ روى ابن عبد البر بسنده عن ابن عباس فقال: ((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لِعَلِيٍّ أَرْبَعُ خِصَالٍ لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرُهُ: هُوَ أَوَّلُ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي كَانَ لِوَاؤُهُ مَعَهُ فِي كُلِّ زَحْفٍ، وَهُوَ الَّذِي صَبَرَ مَعَهُ يَوْمَ فَرَّ عَنْهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي غَسَّلَهُ وَأَدْخَلَهُ قَبْرَهُ))[15].

كذلك روي عن جماعة من الصحابة يوم خيبر أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: ((لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ دَعَا بِعَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ))[16].

كما روي عن المسيب انه قال: ((مَا كَانَ أَحَدٌ

مِنَ النَّاسِ يقول: سلوني غير علي بن طالب رضى الله تعالى عنه))[١٧].

وفي حديث آخر قال: ((أَكَانَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لا وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ، فقال فيه الرسول صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه))[١٨].

به وحده كان المسلمون يعرفون المنافق من المؤمن، فقد روي عن الزبير بن العوام عن جابر بن عبد الله انه قال: ((مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ إِلا بِبُغْضِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ))[١٩].

وفي رواية أخرى خصه بها الرسول صلى الله عليه وآله إذ قال: ((يا علي لولاك ما عرف المؤمنون بعدي))[٢٠]، وهذا الخبر بما تضمنه من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لو قسّم على الخلائق كلّهم من أوّل الدهر إلى آخره لاكتفوا به شرفاً ومكرمة وفخراً.

وعندما اختلف القوم على الخلافة في من يتولّها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أخذت الناس تتناقل خصال أمير المؤمنين عليه السلام التي تفرّد بها فقال أحدهم: عليٌّ يستحق الخلافة بخمس أشياء أتت له من دون غيره وهي: بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، والسبق إلى الإسلام، والزهد في الدنيا، والفقه في الدين، والنكاية في العدو، فلم تر هذه الخمسة الأشياء إلا في عليّ عليه السلام[٢١].

ومن الخصال التي سجلت لأمير المؤمنين عليه السلام فاختص بها وحده مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله له، وهذه الخصلة لم نجد في كتب السير والتاريخ لغيره أو أشرك بها معه أحد إذ اختص به الرسول صلى الله عليه وآله فناجاه يوم الطائف، فقد روى المغازلي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: ((إن النبي صلى الله عليه وآله دعا عليّاً وهو محاصِر الطائف فقال ناس من أصحابه: قد طالت مناجاتُه منذ اليوم! فسمع النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما أنا انتجيتُه ولكنّ الله انتجاه))[٢٢].

هذه مجموعة من الخصال والمزايا التي تفرّد بها مولانا وأميرنا علي بن أبي طالب عليه السلام، كما وردت على لسانه ولسان غيره، فما اعظمها من خصال لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وإن دلت على شيء فإنها تدل على عظم هذا الشخصية الفريدة ورفعة شأنها.

١- ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق: ١٨/ ٣٩.
٢- ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٠٨٩.
٣- المصدر نفسه.
٤- محمد الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام/ ٣١٤.
٥- تاريخ ابن عساكر ٤٢/ ٤٣٤.
٦- المصدر نفسه.
٧- المصدر نفسه.
٨- المصدر نفسه.
٩- المصدر نفسه.
١٠- ابن عبد البر الاستيعاب ٣/ ١٠٩١.
١١- الطوسي، مصباح المتهجد ٧٥٧.
١٢- العلامة المجلسي، بحار الأنوار:٣٩/ ١٩٤.
١٣- المكي، سمط النجوم العوالي: ٣/ ٦٣.
١٤- العلامة المجلسي، بحار الانوار: ٣٧/ ٣٦٠.
١٥- ابن عبد البر، الاستيعاب ٣/ ١٠٨٩.
١٦- المصدر نفسه.
١٧- المصدر نفسه.
١٨- المصدر نفسه.
١٩- المصدر نفسه.
٢٠- مسند زيد الشهيد: ٤٥٧.
٢١- ابن منظور، مختصر دمشق: ١٨/ ٣٩.
٢٢- ابن شهر آشوب، مناقب علي بن أبي طالب: ١٢٤.

لسان الأمة

تَمَثّلات شَخْصِيّة الإمـــــام عَلي عليه السلام فِي الرّوَايَـة العَربِيّة نَمَـــاذِج مُخْتَـارة

الباحثة: رحاب حسين العريفاوي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

تَمَثّلات شَخْصِيّة الإمـام عَلي عليه السلام فِي الرّوَايَـة العَربِيّة
نَمَـــاذِج مُخْتَـارة

الباحثة: رحاب حسين العريفاوي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

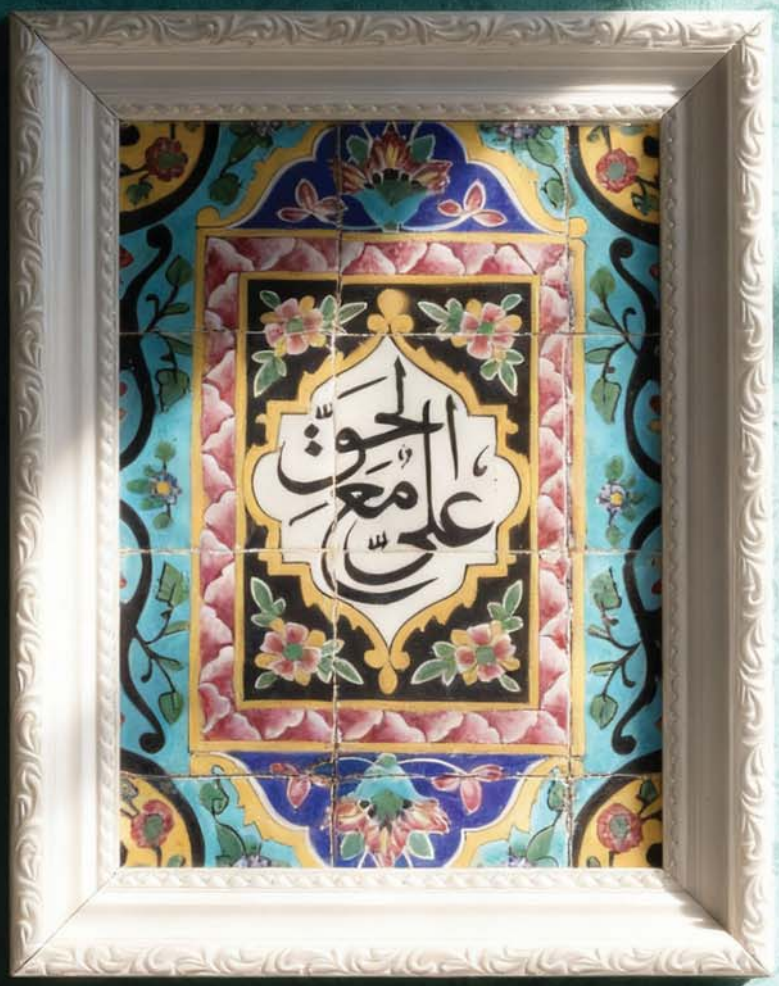

قطعت الرّواية العربيّة شوطًا كبيرًا في التّقدم؛ بعدّها المُتنفس والمنفذ الذي يتيحُ للكُتّاب المبدعين التّعبير عن الواقع المعيش؛ لتصبح بذلك ديوان العرب المُعبر عن الواقعين العام والخاص، الذّاتي والاجتماعي في وقت واحد، فمحنة الإنسان ما تزال قائمة في البحث عن العدالة و مواجهة الباطل على مرّ العصور، ومن هذا المنطلق وجد كثير من الأدباء والكتّاب في شخصيّة الإمام علي عليه السلام خير مثال في الشّجاعة المُشرّفة والبطولة؛ ما جعلهم يجسدون هذه الشّخصية الكريمة، ويتغنون بمواقفها الأصيلة و البطولات الجسيمة التي قدّمها الإمام علي عليه السلام والاستناد إليه في إثراء نصوصهم الإبداعيّة.

أَنموذج الصبر والوفاء:

إنّ توظيف شخصيّة الإمام علي عليه السلام كان العمود الفقري الذي استندت إليه العديد من الرّوايات في موضوعاتها؛ إذ جعلت من شخصيّة الإمام النموذج الفذ في الصبر والوفاء والعزيمة والامتداد المحافظ والمدافع عن رسالة الإسلام وقيمه، ويتّضح في النّص الآتي من رواية (حبّة بغداد): "قام أمارجي بزيارة شجرة آدم في القرنة وجلس تحت ظلها نحو ساعتين يتلو ما حفظه ويضيف من عنده، وعرّج على تلك المناطق التي قيل إن نوحًا مر بها، وكذلك زار مرقدي هود وصالح، وفق اعتقاد المحليين، حيث صارا من المسلّمات وفقًا لعبارة مكتوبة عند ضريح الإمام علي في وادي السلام: "السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح، وعلى جاريك هود وصالح"[1].

يوظف الرّوائي في هذا النّص شخصيّات الأئمة عليهم السلام عن طريق (الواقعيّة السّحرية)، لعمل خلطة سحريّة من التّراب، يتمّ بوساطتها إنقاذ بطل الرّواية المجاهد (أمارجي)، و تعتمد خلطة الأبطال السّحرية على القوّة التي استمدها (أمارجي) من مرقد الإمام علي عليه السلام، والتّراب المأخوذ من كربلاء، حيث مكان قطع رأس الحسين عليه السلام وحيث سقط العبّاس عليه السلام؛ وبذلك فقد أعطى الرّوائي للتراب رمز البقاء والاستمرار فضلاً عن العطاء والتّضحية، إذ تعدّ كربلاء الوهج الذي تستمد منه الثّورات إيمانها وصمودها على مرّ العصور، و يعد أسلوب المحاكاة في توظيف الشّخصيات الحقيقية لرسم واقع الحياة المعيش من أكثر الطّرائق المميّزة في الكتابة، من وجهة نظر (شوبنهاور) الذي يرى: "أن الفنان المجيد إذ يشكل لوحة تاريخية يستعمل نماذج حيّة من الناس، فيأخذ أساس الوجوه من الحياة، ثم يضفي عليها مسحة مثالية من حيث الجمال والتعبير، واعتقادي أن الروائي الذي يجيد عمله يتبع طريقة مماثلة، فهو عندما يرسم شخصية من الشخصيات يأخذ خطوطها العريضة العامة من الحياة حوله، فيستقيها ممن يتصل بهم من أشخاص تلك الحياة، ثم يضفي على تلك الشخصية صبغة مثالية، ويكملها بما يحقق الغرض منها"[2].

الواسطة إلى الله تعالى :

أمّا الرّوائي (رامي هراطة)، فقد وظّف شخصية الإمام الحسين عليه السلام، بطريقة أكثر عاطفية وقربًا، إذ جعل الإمام الحسين عليه السلام الواسطة في طلب الحوائج من الله عز وجل، كما في نصّه الآتي:

"أرجو الاهتمام بقضيّة السّيد علي أكبر ابنه موقوف بتهمة اجتياز الحدود وهي قضيّة سهلة، والأهم من ذلك رسالتي إلى سيدي ومولاي الحسين عليه السلام والتي يتوجّب عليك وضعها في شباك قبره الشّريف، لكن عليك أنْ تضعها في يوم زيارة الأربعين وأن تصل إلى كربلاء مشياً على الأقدام، أعرف أنّ ذلك مجهد وربّما تكون قدراتك قد ضعفت، أنت الآخر لم تعد شاباً لقد ناشتك مقدرات الدّهر، لكن يجب أنْ تصل حاملاً رسالتي إلى سيدي الحسين بن علي ماشياً أسوة بالآخرين ومن مسافة مناسبة تستحق فيها الأجر والثّواب، فإن خذلتك قدراتك وصعب الأمر

عليك أعد الرّسالة للسيد علي أكبر، وإنْ احترمت رغبتي ورجائي وقبلت تكليفي فلا تقرأ الرّسالة ولا تفتحها، ضعها هناك عند رأسه الشّريف، ليطلع على مظلوميتي، مظلوميتنا وشقائنا المُر"[٣].

في رواية (صهر البابا) يعمد الرّوائي إلى إبراز أهمّية مدينة كربلاء في استقرار نفسية الأبطال، ويظهر ذلك عن طريق شخصيّة الدّكتور (حسين منتظري) أستاذ الحقوق وهو حاصل على شهادة الدّكتوراه من جامعة السّوربون ورسالته إلى مهدي المحامي، إذ يعرض هذا الرّجل مظلوميّته لسيد الشّهداء عليه السلام ويظهر التّعلّق الشّديد بمدينة كربلاء المُقدّسة في تفريج الكربة، وعدّها الملاذ وموطن تحقيق الأحلام ونيل الغايات، إذ تشكّل المدينة ملجأ للفرار والخلاص من الاغتراب والبؤس، مؤكّدًا على نسب الإمام الحسين عليه السلام، في قوله: (لكن يجب أنْ تصل حاملاً رسالتي إلى سيدي الحسين بن علي)، ففي توظيف اسم الإمام الحسين عليه السلام، دلالة على هذا الامتداد المبارك، الذي جعله الله ملاذًا وبابًا لتحقيق الأمنيات.

مظلومية أهل البيت عليهم السلام:

لقد عمد العديد من الروائيين إلى توظيف شخصية الإمام علي عليه السلام عند ذكر بقية الأئمة عليهم السلام، موحين بأهمّية مقام النّسب الشّريف وتأكيد حرمته، كما في رواية (رأس الحسين): "انظروا هناك صبي صغير نقلوه من بين دم أبيه وأعضاء أخوته وأقربائه، صبي صغير نقلوه عبر ضراوة الصّحراء وشحّة الماء، وغياب الدّواء، إنّه أصغر مريض، لكنّه باق يقرأ.. إذا أردتم أنْ تعرفوا من هو .. فهو حفيد إمامكم علي بن أبي طالب"[٤].

في روايته (رأس الحسين) يسعى الرّوائي البحريني (عبد الله خليفة) لإظهار المظلوميّة التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام، إذ تبدأ أحداث الرّواية من فصل الرّأس الشّريف في كربلاء حتّى وصوله إلى دمشق وتدور أحداث الرّواية بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويدمج فيها الرّوائي بين الواقع والخيال الرّمزي، ويعد الرّأس الشّريف محور الحدث في الرّواية، وفي هذا النّص تتمثّل شخصيّة الطّفل الرّضيع التي يعرضها (حمزة)، وهو شخصيّة خياليّة من ابتكار الرّوائي يعمل مهرّجاً في قصر الخليفة قادته أطماعه للمشاركة في قتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وهو صورة للذات المخذولة بالوعود المُزيّفة، فيأخذ طريقاً آخر ليكشف عمق الجريمة التي لحقت بآل البيت عليهم السلام، وعن طريق هذه الشّخصية المعتوهة يُعرّض الرّوائي بأعداء آل البيت، إذ تفضح شخصيّة (حمزة) ذلك الجرم العظيم، ليصبح دم الطّفل الرّضيع وفق تعبير الرّوائي (لكنه باق يقرأ) صوتاً صارخاً مستمراً ورمزاً للأطفال الأبرياء في كلّ زمان ومكان، إذ تتغيّر المُسميات عبر العصور، لكنّ جوهر القضيّة واحد، ونلحظ في قوله: (.. إذا أردتم أنْ تعرفوا من هو .. فهو حفيد إمامكم علي بن أبي طالب)، تأكيدًا على مكانة أمير المؤمنين علي عليه السلام وتعريضًا ضمنيًّا بمن جهلوا حقه، وأنكروا نسب بنيه وحرمتهم في أرض كربلاء.

وبذلك لم يكن حضور شخصيّة الإمام علي عليه السلام مجرد وصف أو اسم، بل هو كيان متكامل له أبعاد مختلفة نفسية وفكرية، تؤثر في الأحداث بطريقة فاعلة، ما يجعل هذه النّصوص أكثر دقة وحيويّة.

---

١. جمال حسين علي، حبة بغداد: ٤٠٤.
٢. بيلي سوندرز، فن الأدب مختارات شوبنهاور، ترجمة: شفيق مقار: ١٠.
٣. رامي هراطة، صهر البابا: ٣٣.
٤. عبد الله خليفة، رأس الحسين: ١١٠.

أيدي الحوادث

الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

لـك الله مـن قلـبٍ بأيدي الحـوادثِ ... لعـبن بـه الأشـجانُ لعبـة عابـثِ
تمـرّ بـه الأفـراح مـرّة مـسرعٍ ... وتوقفـه الأتـراح وقفـة ماكـث
تذكّـر مـن أرزاء آل محمـدٍ ... مصائـب جلّتْ مـن قديـمٍ وحادث
عشـية خـان المصطفـى كل غـادرٍ ... وبـز حقـوق المرتـضى كل ناكـثِ
وهاجـت علـى الزهـراء بعـد محمدٍ ... دفائـن أضغـانٍ رموهـا بنابـث
فآلمهـا في سـوطه كل ظالـمٍ ... ودافعهـا عـن حقهـا كل رافـث
وردّ الهـدى والديـن في الأرض دولةً ... تـداول فيمـا بينهـم كالمـوارث
فـأدلى إلى (الثـاني) بهـا شـرّ (أولٍ) ... ودسّ بهـا الثـاني إلى شـرّ (ثالـث)
ومـا ذاك إلا انهـم مـا تمسّـكوا ... مـن الديـن حـتى بالحبـال الرثايـث
إلى أن دبـت تـسري بسُـمّ نفاقهـم ... إلى كربـلا رقـش الأفاعـي النوافـث
فأحنتْ علـى آل النـبي بوقعـةٍ ... بها عاث في شـمل الهـدى كل عائث

قُرَّة الأَعين

- أهمية المسؤولية في إصلاح المجتمع في حياة فاطمة الزهراء عليها السلام

م.م مؤمل هاشم عبيد الربيعي
جامعة الكوفة- كلية الآداب

- الأسرة ودورها في الوقاية من جنوح الأحداث وجرائم الشباب دراسة اجتماعية تحليلية

الباحث:هادي العارضي
مديرية تربية محافظة النجف

أهمية المسؤولية في إصلاح المجتمع في حياة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

م.م مؤمل هاشم عبيد الربيعي
جامعة الكوفة- كلية الآداب

تُعدُّ المسؤولية في الدين الإسلامي مهمة جداً؛ وذلك لتحديدها لمصير وتطور الأمة الإسلامية بأكملها من جانب، ومن جانب آخر فإنّها تحدّد تطور الرسالة المحمدية في الأرض، وأيضاً مستقبل الدعوة الإسلامية والإنسان خلق لغاية لا بد من تحقيق الغاية التي من أجلها استخلفنا الله في أرضه، ألا وهي عبادته، قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات: ٥٦]، وكذلك عمارة الأرض نحو الإصلاح ونشر الإسلام وتقويم المسؤولية الإصلاحية لمواجهة الضلالات والانحرافات والتصدي للهجمات الشرسة الفكرية والقضاء على الأفكار التي بدأت تحرف مجتمعاتنا العربية المسلمة، بحجة التكنلوجيا والتحرّر، ما أدى إلى الانسلاخ عن الهوية الإسلامية والابتعاد عن القيم والأخلاق النبيلة، التي دعا إليها الإسلام، فمن واجب كل فرد أن يقوم بالمسؤولية كلٌّ بحسبه كما ورد عن النبي ﷺ: (كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والأمِيرُ راعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهْلِ بَيْتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ زَوْجِها ووَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ)[1].

ويعد من لزوم الإيمان ومكملاته العمل على نشر الدين ونصره والدفاع عنه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[محمد: ٧] ويعدُّ الجهاد في مواجهة الكفار المحاربين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مصاديق نصر دين الله.

وإن من القيم العظيمة التي أرساها الإسلام ودعا إليها وربّى أتباعه عليها تحمل المسؤولية، خاطب بذلك الأفراد والمجتمع والأمة، وجعل القيام بهذه المسؤولية سبباً للفوز في الدنيا والآخرة.

يجب على كل مسلم أن يستشعر مسؤوليته العظيمة نحو نفسه ومن حوله وواقعه، وهذا الشعور بالمسؤولية هو مفتاح الأعمال المجيدة التي تغيّر الواقع إلى ما يُرضي الله، وهذا التغيير يبدأ بتنمية الشعور بالمسؤولية، فيحرص المسلم على إصلاح النفس الأسرة المجتمع الحكومة الأمة الإسلامية كلّها، وهذا التغيير العام لا يمكن أن يكون إلا بتظافر جهود المسلمين وتعاونهم وتناصحهم وتواصيهم بالحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحينئذ تسعد البشرية بشرع الله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[الرعد: ١١]

ولنا بأهل البيت عليهم السلام قدوة وأسوة ولاسيما أم الأئمة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، نتعلم منها كيف كان لها دورٌ ريادي القيام بالمسؤولية، منها لما رأت الاعوجاج و الانحراف الذي أصاب الأمة قامت بالمسؤولية، ووقفت بوجه ذلك الانحراف والتزييف وتغيير الحقائق، ووضعت النقاط على الحروف رغم قلة الناصر، وهي مرآة لكن هذا لا يمنع من القيام بالمسؤولية، نجد أنّ الصديقة الكبرى خطبت واحتجت أمام القوم، وطالبت بإرثها بينّت أحقية أمير المؤمنين عليه السلام ومكانته من رسول الله وذكّرت القوم بفضلها فقالت في خطبتها الفدكية: (أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وبينّت مكانة أمير المؤمنين وقربه من رسول الله ﷺ: ((أأُهْضَمُ تُراثَ أبِي وَأنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الخَبْرَةُ، وَأنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغِيثُونَ))[2].

مستويات المسؤولية:

اولاً: المسؤولية تجاه الأسرة

الأبوان مسؤولان عن تربية أفراد الأسرة، والقيام بشؤونهم وتغذيتهم بالفكر والأخلاق والمبادئ الصحيحة، والقرآن يبين أنّ مسؤولية الأب والأم هي

وقاية الأولاد من الوقوع في الحرام والانحرافات، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[التحريم: ٦] وكذلك يأمرنا القرآن بتعليم الأولاد العبادات ومنها الصلاة ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾[طه: ١٣٢] ومن الطبيعي أن تكون لهذه التربية قواعد وأصول وضوابط؛ قد ألهمها الله للصديقة الزهراء، كما علّمها أبوها صلى الله عليه وآله، فيا ترى متى بدأت الزهراء عليها السلام وكيف ربّت أبناءها وبناتها؟

فالحقيقة تؤكّد لنا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قد أنشأت بطريقتها التربوية أعلى مدرسة مثالية؛ تخرّج عنها الحسنان وزينب عليهم السلام، إضافةً إلى ذلك فإنّ الحبّ والحنان اللذين يبديها لسان الروايات في تعامل الزهراء عليها السلام مع أولادها تكاد تستشعرهما لشدّتهما، ويبدو ذلك واضحًا في خطابها لهما فتناديهما بأمثال: (يا ثمرة فؤادي، وقرة عيني)..

أما من الناحية العلمية؛ فقد ذكرت لنا الروايات ـ على شحتها ـ كيف أن الزهراء كانت تعلّم الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وهما لم يبلغا الخامسة من العمر بعد، حيث كانت تطلب إليهما ـ كطريقة من طرائق التعليم ـ إعادة ما سمعاه من خطاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على مسامعها.

وكذلك يروى أنها كانت تعلم أولادها على حفظ ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله، وتسمع منهم حيث يروى أنّ النبي كان يخطب الخطب للرجال فيأتي أمير المؤمنين إلى البيت فيجد ما قاله النبي صلى الله عليه وآله عند الزهراء عليها السلام فسألها من أين لكِ ذلك فقالت من ولدي الحسن فجاء أمير المؤمنين عليه السلام في أحد الأيام ووقف خلف جدار وأخذ يسمع يا يقوله الإمام الحسن عليه السلام لأمه الزهراء عليها السلام، فسكت فقالت: لمَ سكتَّ. فقال: هنالك من يسمع خلف الجدار فخرج أمير المؤمنين وقبّل ولده الحسن عليه السلام.

هذا درس منهم نتعلمه من الزهراء عليها السلام في تربية الأولاد عند حضور هذه المجالس العلمية وكذلك زرع الثقة في نفوسهم، وتعليمهم على فصاحة الكلام وغيرها من الأمور.

ومن الأمور التي ربّت الزهراء عليها السلام أولادها حبُّ الخير للآخرين، إذ يروى عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال:- ((رأيت أمي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفلق عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت:- يا أماه لم تدعي لنفسك كما تدعين لغيرك؟ قالت:- "يا بني الجار ثم الدار))[٣].

وهذا أمر آخر في التربية على حب الخير للآخرين والابتعاد عن الأنانية والبغض والكراهية؛ لأنّ الأولاد يتأثرون بأمهم، فإن الشعور بالمسؤولية والقيام بها وأداءها على أكمل وجه يجب أن يصبح في حياتنا خلقاً وسلوكاً وضرورةً، يمارس في واقع الحياة حتى لا يحدث التساهل في الواجبات، وحتى لا تضيع الحقوق، وحتى تنجز الأعمال وتنجح المشروعات وتسود الأخلاق وقيم الخير في المجتمع.

ثانيا: المسؤولية تجاه المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الأمور البارزة والجلية في حياة الزهراء عليها السلام أنها قامت بالإصلاح في مواجهة الانحراف الذي أصاب الأمة الإسلامية بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا من منطلق المسؤولية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو واجب على كلّ مسلم أن يتحمل مسؤوليته للعمل لهذا الدين، وهذه الأمة هي خير أمة أُخرجت للناس كما قال الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[آل عمران: ١١٠] وهو ما ذكرته بخطبتها الفدكية حيث تقول: ((وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ))[٤].

وهـذه الخيرية مرتبطـة بأمرها بالمعـروف ونهيها عن المنكـر وإيمانها بـالله، واسـتمرار الأمة بالأمـر بالمعروف والنهـي عـن المنكر والإيـمان بالله هـو عنـوان خيريتها، فهـي مسـؤولية عظيمـة عـلى الأمـة، يجـب أن تتحملها لتبقـى لهـا هـذه الخيرية، وتكـون لهـا الصـدارة والقيادة لسـائر الأمـم، فتهديهـا إلى الصراط المسـتقيم، وتخرجها مـن الظلـمات إلى النـور بـإذن الله، وعندمـا كانـت أمـة الإسـلام تعـي مسـؤوليتها سـادت الأمـم وحكمـت العـالم وأسسـت حضـارة لم يعـرف لهـا التاريـخ مثيـلاً، فـكل مسـلم كان يعـرف دوره ومسـؤوليته فيقـوم بواجبـه ولا ينتظـر أن يأمـره احـد، ولا يُلقي المسـؤولية عـلى الآخرين مهما كانـت ظروفه، ولا يـرضى أن يكون عـلى هامـش الحيـاة ليـس فيـه نفـع للأمـة الإسـلامية، وبسـبب هـذا الشـعور العـالي بالمسـؤولية نصرهـم الله وأعزهـم، ثـم انحط المسـلمون وضعفوا وصـاروا غثاء كغثـاء السـيل، وإن مـن أبـرز أسـباب ضعفهم انتشـار ثقافـة التبرير واختـلاق الأعـذار وإلقاء المسـؤولية على الآخريـن، وهـذا الأمـر مـن أخطـر العلـل والأمراض التـي أصابـت الكثـير مـن المسـلمين اليـوم، فقـد ظهـر ضعـف الشـعور بتحمـل المسـؤولية في أغلـب شرائـح المجتمـع وفئاته.

لقـد طُبـع أكثـر المسـلمين اليـوم عـلى قلـة الاهتمام بشـأن الأمـة والعـزوف عـن القيـام بالأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، والاحتجـاج بـأن المسـؤولية تقـع عـلى العلـماء والدعـاة والخطبـاء فقـط.

وإن أخطـر مـا يترتـب عـلى تـرك الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر إصابة الأمة المهملـة للأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكـر بالعـذاب العـام، وعـدم إجابـة الدعـاء، واسـتحقاق اللعنـة مـن الله، وعدم الاسـتقرار وانعـدام الأمـن والأمـان، قـال رسـول الله ﷺ: ((لا تـزال أمتي بخير مـا أمروا بالمعـروف ونهوا عـن المنكر، وتعاونـوا عـلى البـر، فـإذا لم يفعلـوا ذلك نزعـت منهم البـركات وسـلط بعضهـم عـلى بعـض ولم يكـن لهـم نـــاصر في الأرض ولا في السـماء))[٥].

وقـد أقسـم الله في كتابـه الكريـم عـلى أنّ النـاس جميعـا في خسـارة إلا مـن حقـق أربـع صفـات مهمـة فقـال سـبحانه: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[العصر: ١-٣]

وإن التـواصي بالحـق ليـس مسـؤولية العلـماء والدعـاة والأمـراء فقـط، بل هو مسـؤولية كل مسـلم، فـكل مسـلم هـو مسـؤول عـن نفسـه وأهلـه ومنطقته بحسـب قدرته واسـتطاعته، والعلماء والدعـاة والأمراء لا يسـتطيعون وحدهـم القيام بالأمر بالمعـروف والنهي عـن المنكر، فعـلى كل مسـلم أن يعينهم بقيامـه بواجبه، فـإن كل مسـلم عـلى ثغـر يجـب عليـه أن يحافـظ عليـه حتـى لا يُؤتـى المسـلمون مـن قِبَلـه بسـبب تفريطـه أو تضييعـه، وليـس المؤمـن الـذي لا يحمل همـاً لأمته، ولا يعـاني نصبـاً في العمـل لديـن ربـه، فالعمل لهـذا الدين فريضـة شرعيـة عـلى كل فـرد في المجتمـع الإسـلامي.

ثالثا: التكافل الاجتماعي:

الديـن الإسـلامي يحـثُّ عـلى التكافـل والتعاضـد ومسـاعدة الآخريـن وحـب الخـير، وعـدم التفكـير بالـذات فقـط، ولذلـك ورد عـن النبـي ﷺ مـن بات وجـاره جائـع فليـس بمسـلم وذلـك شرع الإسـلام، وأوجـب الـزكاة والخمـس واسـتحباب الصدقـة، وكفالـة الأيتـام، هـذا كلّـه مـن منطلـق المسـؤولية تجاه المجتمـع وحـب الخـير إليهـم، وأهـل البيـت أنمـوذج لذلـك نزلـت سـورة كاملـة بهـذا الخصـوص، إذ قـال تعـالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾[الإنسان: ٨].

وكانـت الزهـراء عليها السلام تعطي أفضل مـا عندها، إذ ورد أنّ النبـي جـاء بثوب جديـد إلى الزهراء عليها السلام لكي تلبسـه في يـوم زفافهـا، وفي صبـاح يـوم زفافهـا جاءت

امرأة مسكينة طرقت الباب وقالت يا أهل بيت النبوة مسكينة تريد من يسترها، سلّمت الزهراء عليها السلام الثوب الجديد للمسكينة وعندما صارت ساعة زفافها شاهدها النبي بثوبها القديم سألها النبي عن الثوب الجديد فقالت عليها السلام جاءت مسكينة تسأل فأردت أن أعطيها ثوبي القديم فتذكرت قول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] فأعطيتها الثوب الجديد، فكانت كلّها عطاء وبذلا ومساعدة للناس، ما طرق باب دارها شخص إلا وخرج ممتلئ اليدين.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه صلّى بالمسلمين ذات يوم، ولمّا فرغ من صلاته جلس في مصلاّه والناس حوله، فبينما هم كذلك إذ أقبل إليه شيخ طاعن في السن فقير الحال وهو لا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فقال: ((يا نبي الله أنا جائع الكبد فأطعمني وعاري الجسد فاكسني وفقير فارشني، ولم يجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شيئاً ينفقه عليه فقال: ما أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة، فانطلق الأعرابي مع بلال، فوقف على باب فاطمة ونادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة... ثم حكى لها قصته، ولم تكن فاطمة ولا زوجها ولا أبوها قد طعموا طعاماً خلال ثلاث ليال، فعمدت الزهراء عليها السلام – على ما بها من الجوع أن تستجيب لهذا الشيخ الفقير– إلى عِقْدٍ كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقطعته من عنقها (رعاية للحشمة كي لا يتصوره عليها)، وأعطته إلى الأعرابي فقالت: خذه وبعه عسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه، فأخذ الأعرابي العقد وانطلق مسروراً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله جالس مع أصحابه فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمة هذا العقد وقالت بعه عسى الله أن يصنع لك، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلام الأعرابي، بكى وقال: وكيف لا يصنع الله لك وقد أعطتك إيّاه فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم، فعرض الشيخ العقد للبيع، فقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: بكم العقد يا أعرابي؟

قال الأعرابي: بشبعه من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتي وأصلي فيها لربيِّ، ودينار يبلغني إلى أهلي، وكان عمار رضي الله عنه قد باع سهمه الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر، فقال: للأعرابي لك عشرون ديناراً وماءتا درهم وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك وشبعك من خبز البر واللحم، ففرح الأعرابي بما سمع، بذل عمار رضي الله عنه في شراء العقد وشكره على ذلك ثم أرخى يده داعياً، فقال: اللهم أعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: آمين، فعمد عمار رضي الله عنه إلى العقد فطيبه بالمسك، ولفه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه ((سهم)) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك، وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره، بقول عمار رضي الله عنه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها، فجاء سهم بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذت فاطمة العقد وأعتقت سهماً المملوك، فضحك الغلام سهم فقالت فاطمة عليها السلام ما يضحكك يا غلام؟

فقال سهم: أضحكني عِظَمُ بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربه))[٦].

١- محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ١٢١٢.
٢- المجلسي، بحار الانوار: ٢٩/ ٢٢٨.
٣- المصدر نفسه: ٨٦/ ١١٣.
٤- الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ١/ ٢٤٨.
٥- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٦/ ١٢٣.
٦- محمد الطبري، بشارة المصطفى: ٢١٨-٢٢١.

الأسرة ودورها في الوقـــــاية من جنوح الأحداث وجرائم الشباب

دراسة اجتماعية تحليلية

الباحث:هادي العارضي
مديرية تربية محافظة النجف

شهدت العقود الأخيرة ارتفاعًا ملحوظًا في معدلات انحراف الأحداث وجرائم الشباب، وهو ما يدل على اضطرابات بنيوية في منظومة القيم الاجتماعية، لاسيما في ما يتعلق بدور الأسرة في ضبط السلوك وتوجيهه. إنّ الأسرة بوصفها أول مؤسسة اجتماعية، تتحمل مسؤولية كبيرة في تربية الشباب، وتشكيل شخصياتهم، وغرس القيم الأخلاقية والدينية لديهم.

وتؤدي المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، مثل الفقر، والطلاق، والعنف الأسري، والاضطرابات النفسية داخل الأسرة، إلى ضعف وظائف الأسرة الأساسية، وعلى رأسها التنشئة الاجتماعية. ومن ثم، فإن أي إخفاق في أداء هذه الوظائف قد يُفضي إلى بروز السلوك الجانح بوصفه مظهرًا من مظاهر الخلل المجتمعي.

وقد اتفقت الدراسات الاجتماعية على أنّ الانحراف هو: ظاهرة اجتماعية تخضع في شكلها وأبعادها إلى القوانين الحاكمة للمجتمع، إذ يشير تزايد الانحراف وجرائم الشباب إلى ضعف الروابط الأسرية وتفككها، وأن فقدان الأسرة لوظيفتها الأساسية في تعليم الأبناء القيم والمعايير الاجتماعية يؤدي إلى تزايد المشكلات السلوكية والجريمة، فالمنزل الخالي من كلمات المحبة آفة للنمو العقلي والعاطفي والاجتماعي للمراهق، ونقص الحب والمودة ونقص الاستقرار والوئام في الأسرة هو أساس السلوك الإجرامي. وكلما ضعف الأساس العاطفي والأخلاقي للأسرة، أثّر ذلك على نظامها (الطلاق)، وتحدث الجريمة أيضًا، وللنظام والتوازن في الأسرة علاقة عكسية مع عملية الانحراف، وعندما تتزايد حالات الطلاق ترتفع الصراعات الداخلية في الأسرة، ويتورط الأبناء في هاوية الإدمان والانحراف وغير ذلك، بعيداً عن أعين والديهم[1].

ومع ذلك، فإن العلاقة بين الوالدين والأبناء، وتفكك الأسرة وانعدام النظام والتوازن فيها، وضعف المعتقدات الدينية والأخلاقية، تلعب دورًا خطيرًا في جنوح الأحداث، فإذا كانت قيم الشخص وقيم الأشخاص ذوي التأثير القوي عليه تدعم السلوك الإجرامي بدلًا من دعم السلوك غير الإجرامي، فمن المحتمل أن يصبح هذا الشخص مجرمًا، وإن تضامن أفراد الأسرة واستقرارهم يخلقان بيئة مناسبة للناس بطريقة متكاملة نسبيًا، فالأسرة هي جماعة صغيرة، سمتها الأساسية التي لا تنفصل هي الألف، فالأسرة المستقرة والمتضامنة توفر بيئة مناسبة للأفراد، إذ يتعلمون المعايير المقبولة ويؤدون أدوارهم الاجتماعية بسهولة، وأن الألفة والترابط الأسري ضروريان لتنشئة الأجيال القادمة، والتفاهم هو الذي يجعل الأسرة متماسكة، بينما الكراهية تؤدي إلى الخيانة والانفصال والصراع، إذ إنّ تنشئة الجيل القادم اجتماعيًا هي واحدة من أبرز واجبات الأسرة وأكثرها جوهرية[2].

إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة من منظور اجتماعي، يُمكن اعتبار جنوح الأحداث وجرائمهم أمراضًا اجتماعية تستدعي العلاج. وبالطبع، لمكافحة أي مرض، يجب أولًا التعرّف عليه ومعرفة أسبابه، ثم إنقاذ المصاب ومنع تكرار هذه المضاعفات. وإذا اعتُبر الجنوح مشكلةً اجتماعيةً وضررًا، فإنّ "المراهقين" كإحدى الفئات الضعيفة في المجتمع معرضون لخطر الإصابة بهذه المشكلة أو عانوا منها بشكل أو بآخر، ومن أبرز الأسباب التي تؤدي إلى بروز السلوك الجانح بوصفه مظهرًا من مظاهر الخلل المجتمعي.

أولًا: البيئة الاجتماعية والانحراف – الأسرة كنموذج

رغم الاعتراف بأثر العوامل البيولوجية والنفسية والاقتصادية في تشكيل سلوك الأفراد، فإن العوامل

الاجتماعية ـــ وخاصة الأسرة ـــ تظل حجر الزاوية في فهم ظاهرة الانحراف. فالأسرة المتفككة، التي يسودها العنف أو الإهمال، تُنتج بيئة محفزة لسلوكيات التمرد والانحراف، إنّ الطفل الذي ينشأ في بيئة مضطربة، تفتقر إلى الحب والاحتواء، يكون أكثر عرضة للانسلاخ عن القيم المجتمعية. وقد أثبتت الدراسات أن حالات الانفصال الأسري، وغياب أحد الأبوين، والاضطرابات داخل الأسرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بارتفاع معدلات الجريمة بين المراهقين. كما أن الافتقار إلى الرقابة الأبوية يؤدّي إلى انخراط الأبناء في جماعات منحرفة تعزز من سلوكهم الخارج عن القانون.

ثانيًا: النظام الأسري وعلاقته بجنوح الأحداث

يلعب النظام الداخلي للأسرة دورًا حاسمًا في تهيئة الأبناء للتكيّف مع القواعد الاجتماعية، وكلما كان هذا النظام قائمًا على أسس من التفاهم، والمودة، والحوار، انخفضت احتمالات ظهور السلوك المنحرف. في المقابل، يُعد الخلل في بناء الأسرة كغياب الانسجام، وتكرار النزاعات الزوجية، وضعف الدور التربوي للوالدين من العوامل الرئيسة التي تسهم في الجنوح، يرتبط الاستقرار العاطفي داخل الأسرة ارتباطًا مباشرًا بالصحة النفسية للأبناء. وعندما تضعف هذه الروابط، يجد المراهق نفسه مدفوعًا للبحث عن مصادر بديلة للإشباع العاطفي، غالبًا في بيئات غير آمنة، ما يؤدي إلى تبني أنماط سلوكية منحرفة.

ثالثًا: جنوح الأحداث كظاهرة اجتماعية مرضية

يُنظر إلى الجنوح بوصفه مرضًا اجتماعيًا يتطلب علاجًا وقائيًا وتدخلًا. إذ لا ينشأ الانحراف من فراغ، بل هو نتاج تراكمات نفسية واجتماعية وثقافية. وتُعدّ الأسرة هنا العنصر الأول القادر على التدخل في مرحلة مبكرة، للحد من مظاهر السلوك المنحرف. المراهق الجانح هو في الأصل ضحية لبيئة اجتماعية مضطربة، ومؤسسة أسرية فشلت في احتوائه وتوجيهه؛ لذا فإن فهم الأسباب المؤدية إلى الجنوح، ومن ثم معالجتها، يُعد أمرًا أساسيًا في الوقاية المجتمعية الشاملة.

تفوق الوقاية على العلاج:

قبول مبدأ تفوق الوقاية على العلاج، ليس فقط في القضايا الطبية، بل في حياتنا الاجتماعية أيضًا، بناءً على هذا المبدأ، وباختيار أساليب فعّالة، ومراعاة مجموعة من العوامل البيئية والاجتماعية والتقنية، يمكن الحد من دوافع ارتكاب الجرائم، ومن ثَمّ تقليل معدلها. تُعد الوقاية الاجتماعية من أهم الموضوعات الاجتماعية، التي قلّما نوقشت في مجتمعنا. تهدف الوقاية الاجتماعية إلى القضاء على عوامل خطر الجريمة التي تجعل الناس عرضة للانحراف أو الوقوع ضحية، ولكن عمليًا، لا يمكن أبدًا الوصول إلى حالة تنجح فيها جميع تدابير الوقاية الاجتماعية، ومن مظاهر الانحراف التشرّد الذي يعدّه العلماء شكلًا من أشكال الانحراف والهرب، وهو مغادرة المنزل كدليل على القلق وضيق الحدث داخل العائلة، هذا على الرغم من استحالة تطبيق إجراءات إصلاحية بنسبة ١٠٠٪ على جميع المجرمين الحاليين؛ لذلك، منطقيًا، لا خيار أمامنا سوى قبول أن الوقاية الاجتماعية لا تكتمل باستخدام الأساليب النفسية وحدها، ومن المبادئ الأساسية للوقاية من الجريمة استعمال استراتيجيات تعتمد على التعاون والشراكة بين المؤسسات الحكومية والمنظمات العامة وغير الحكومية والقطاع التجاري والمجتمع المدني[٣].

سبل الوقاية من جنوح الأحداث وجرائم الشباب:

تمثل الوقاية من جنوح الأحداث عملية متعدّدة

الجوانب، تنطلق من الأسرة وتمتد إلى مؤسّسات المجتمع كافة، وفيما يليأتي أبرز سبل الوقاية المقترحة:

١. إنّ ظاهرة جنوح الأحداث تعدّ من أخطر الأمراض الاجتماعية التي تواجه الأمم وتهددها، في كيانها واقتصادها ومستقبل أبنائها، وإن مواجهة هذه الظاهرة يعدّ من أولى الأولويات التي تقع على عاتق الدولة والمجتمع، وصولاً إلى الأسرة التي تعدّ نواة المجتمع وأساس تكوينه، ولذلك كان لا بد من وضع سياسة جنائية منبثقة من الواقع الذي يعيش فيه الحدث، وصياغتها صياغة عملية تحد بالفعل من الظاهرة الإجرامية، كما يجب أن تهتم السياسة بعوامل الوقاية من الانحراف عند الأحداث، وأن تتبنّى في ذلك وسائل ملائمة وكافية لمكافحة الإجرام؛ لأنّ عدم نجاح السياسة الجنائية في ذلك، سيؤدي إلى زيادة عدد جرائم الأحداث، ومن ثَمَّ تفاقم المشكلة أكثر فأكثر.

تعزيز التماسك الأسري: من خلال بناء علاقات قائمة على الثقة، والحب، والاحترام المتبادل، وتوفير بيئة آمنة نفسياً وعاطفياً للأطفال والمراهقين[٤].

٢. التربية القائمة على القيم: زرع المبادئ الأخلاقية والدينية في نفوس الأبناء منذ الصغر، وتعزيز الشعور بالمسؤولية والانتماء المجتمعي.

٣. الرقابة الإيجابية: إشراف الوالدين المستمر على سلوك الأبناء، ومتابعة تحصيلهم الدراسي، وعلاقاتهم الاجتماعية، من دون فرض أو قمع.

٤. الدعم النفسي والعاطفي: التعامل مع مشكلات الأبناء بالحوار والفهم، وتقديم الدعم اللازم لتجاوز الأزمات النفسية والضغوط.

٥. التثقيف الأسري: توعية الآباء والأمهات بأهمية أدوارهم التربوية، من خلال الندوات، وبرامج الإرشاد الأسري، والدورات التثقيفية.

٦. دور المدرسة والمجتمع: تنسيق الجهود بين المؤسسات التربوية، والدينية، والإعلامية، لبناء شبكة دعم فاعلة تحيط بالمراهقين، وتوفر لهم البدائل الإيجابية.

٧. تطبيق السياسات الاجتماعية العادلة: عبر تحسين مستوى المعيشة، وتوفير فرص العمل، والرعاية الصحية والتعليمية، بما يحد من العوامل الخارجية المسببة للجنوح.

أخيرًا خلصت الدراسة إلى أن الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش بمفرده في عزلة اجتماعية، لذلك يمكن اعتبار الأسرة الدعامة الأساسية في وقاية الأحداث من السلوكيات المنحرفة، وأن أي إخفاق في أداء وظائفها التربوية والاجتماعية يؤدي إلى نتائج سلبية تتجلى في ارتفاع معدلات الجنوح. ويتضح أن الوقاية من هذه الظاهرة تتطلب تعزيز استقرار الأسرة، وتوفير بيئة داعمة للناشئة، إلى جانب تفعيل دور المؤسسات التربوية والاجتماعية في بناء جيل متوازن نفسيًا وسلوكيًا، إن الاستثمار في الأسرة ليس خيارًا فرديًا، بل مسؤولية مجتمعية تقتضي تظافر الجهود بين الدولة والمجتمع، من أجل ضمان نشأة آمنة وسليمة للأجيال القادمة.

---

١. محمد فرج اليامي، دور الأسرة وعلاقته بانحراف الأحداث، المجلة الاكاديمية للأبحاث والنشر العلمي العدد ٧٢: ١٧١.

٢. إسماعيل باقي محمد الأسدي، دور الأسرة في ظاهرة جنوح الأحداث، مجلة البحوث التربوية والنفسية ،العدد الثامن: ٢١٢.

٣. نجية عرّاب ثاني، أثر التفكك الأسري على انحراف الأحداث، مجلة الأسرة والمجتمع، العدد:١٢٠.

٤. هناء الجبوري محمد، البيئة الأسرية وأثرها في الأحداث: ١.

أم أبيها

لُقّبت السيدة الزهراء عليها السلام بعدة ألقاب ومعنى كل لقب يدلُّ بلا شك على صفة من الصفات الإنسانية والأخلاقية التي تحلّت بها هذه السيدة، والتي لها علاقة وثيقة بأخلاق الأسرة التي عاشت بين أطرافها، فالوالد رسول الله صلى الله عليه وآله والزوج أمير المؤمنين عليه السلام، والأبناء الحسن والحسين وزينب عليهم السلام، فكانت مثالاً للأم والوالدة الحنون والمربية المثالية، وقد لقبت بعدة ألقاب منها أمّ أبيها.

ومعنى هذا اللقب لكثرة رعايتها لوالدها رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس فقط كونه والدها، بل لكونه رسول الله وخاتم الأنبياء، وعندما رأى النبي صلى الله عليه وآله هذا الاهتمام من ابنته وهذا الأدب والطاعة والخلق الرفيع شعر بأنها بمثابة الأم له لكثرة عنايتها به.

فجميل أن نرى بناتنا تسير على سيرة هذه السيدة الطاهرة المطهرة، وهناك كثير من بناتنا التزمن بهذا الخلق، فتجدهنَّ من أكثر أفراد الأسرة احترامًا للوالدين ومن أكثرهم اهتماماً بهما، والزهراء عليها السلام هي مثالٌ لجميع النساء وفي جميع مواقفها وأخلاقها، فهي مصدرٌ للبنات المؤمنات وللأمهات المتدينات اللاتي يراعينَ أسرهنّ ويعكفن على تربية أبنائهنّ التربية الصالحة، التي يريدها الله ورسوله وأولو الأمر.

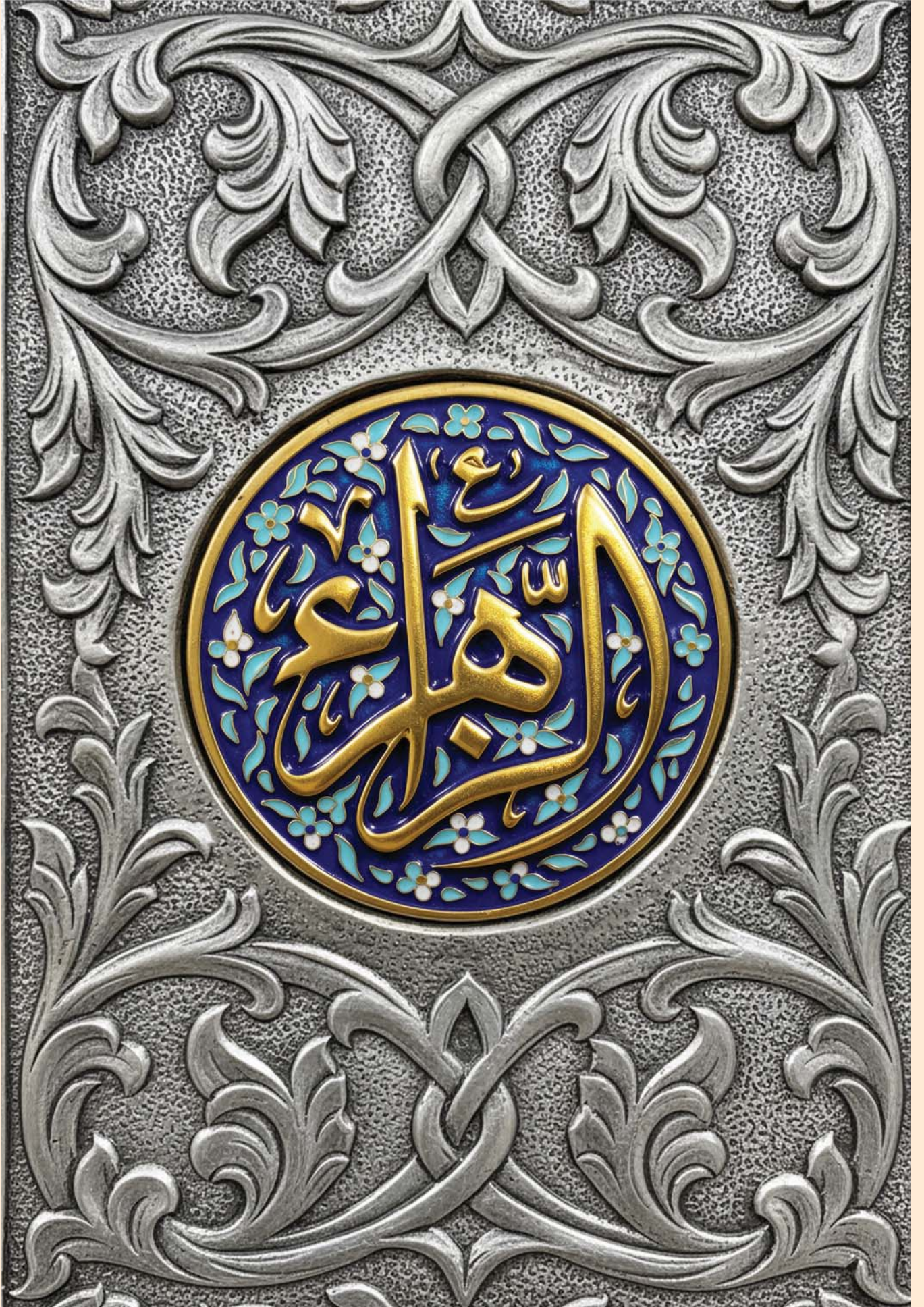
اللهم

شؤون دولية

- إعلان حقوق الإنسان
  جلبة يثيرهـــا الغير

الباحثة: عبير سليم حسن الحلبي
النجف الأشرف

إعلان حقوق الإنسان جلبة يثيرهـــا الغير

الباحثة: عبير سليم حسن الحلبي
النجف الأشرف

نعيش في محيط مليء بالتناقضات الفكرية والاصطلاحية، ولعلها حالة صحية من حيث كشف الحقائق والوجوه، وليس الغرض مما سنتطرق له هو التسقيط، ولكن حقيقة واضحة للعيان لا لبس فيها.

كذلك فإن محيط العلم والمعرفة يحتوي على أفكار ومسميات تثير الاهتمام، ولعلنا نتطرق في هذا المقال الى (مصطلح حقوق الانسان) الذي يثيره أو ينادي به العالم الغربي وليس العالم الإسلامي، ونستدل بها على بعض الأمور التي قد نكون غفلنا عنها حيناً ما.

بداية فلنتعرف على المنظمة الدولية التي أطلقت إعلان قانون حقوق الانسان: هي هيئة الأمم المتحدة، وهي منظمة دولية ينظم إليها عدد من الدول، وهي مكان واحد يمكن لدول العالم أن تجتمع فيه معاً وتناقش المشكلات الشائعة، وتُوجد لها حلولاً مشتركة.

تأسست هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥م، وتتكون حتى الآن من ١٩٣ دولة، وتسترشد في مهمتها وعملها بالأهداف والمقاصد الواردة في ميثاق تأسيسها، وتأخذ على عاتقها إيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحقوق المرأة وسيادة الدول وغيرها من أمور دولية، وقد تطورت على مر السنين لمواكبة عالم سريع التغيير[١].

أما الإعلان عن هذا القرار فإنه يعد وثيقة تاريخية مهمة في تاريخ حقوق الإنسان، وفق ما أشارت اليه الهيئة، فقد صاغه ممثلون من مختلف الخلفيات القانونية والثقافية من جميع أنحاء العالم، واعتمدت الجمعية العامة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في باريس في ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨ بموجب القرار ٢١٧ ألف بوصفه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه الشعوب والأمم كافة. وهو يحدد، وللمرة الأولى، حقوق الإنسان الأساسية التي يتعين حمايتها عالميًا. وترجمت تلك الحقوق إلى ٥٠٠ لغة من لغات العالم. ومن المعترف به على نطاق واسع أنَّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد ألهم ومهّد الطريق لاعتماد أكثر من سبعين معاهدة لحقوق الإنسان، مطبقة اليوم على أساس دائم على المستويين العالمي والإقليمي (تحتوي جميعها على إشارات في ديباجتها)[٢].

ولعلنا نُنبّه إلى بعض الفقرات التي تخص إعلان حقوق الإنسان الذي أطلقته المنظمة:

١- إن المنظمة تأسست في عام ١٩٤٥م.

٢- إن الإعلان قد اعتمد في باريس في ١٠ كانون الاول ١٩٤٨.

٣- استهدفت الشعوب والأمم كافة بهذا

الإعــلان.

٤- مهّــد الطريــق الى أكثر من ســبعين معاهدة لحقوق الإنســان مطبقة اليوم على أســاس دائم على المســتويين العالمي والإقليمي.

فكانت ديباجة الإعلان هي:

لمــا كان الاعتراف بالكرامــة المتأصلة في جميع أعضــاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتســاوية الثابتة هو أســاس الحرية والعدل والســلام في العــالم، في حــين أنّ تناسي حقوق الإنســان قد أدى إلى أعــمال همجيــة أثــارت غضب ضمير البشرية، وظهور عــالم يتمتع فيــه البشر بحرية الكلام والمعتقــد والتحرر من الخــوف والعوز قــد أعلن أنه أعــلى تطلعات من عامــة الناس.

ولمــا كان من الــضروري أن يتــولى القانون حماية حقوق الإنســان لكي لا يضطــر المرء آخر الأمــر إلى التمرّد والاستبداد والظلم.

ولمــا كان مــن الجوهــري تعزيــز تنميــة العلاقــات الوديــة بــين الــدول.

ولما كانت شــعوب الأمم المتحــدة قد أكدت في الميثــاق من جديــد إيمانها بحقوق الإنســان الأساســية وبكرامة الفرد وقــدره، وبما للرجال والنســاء من حقوق متســاوية وحزمت أمرها عــلى أن تدفع بالرقــي الاجتماعي قدمــاً، وأن ترفع مســتوى الحياة في جو من الحرية أفســح.

ولما كانــت الــدول الأعضاء قــد تعهدت بالتعــاون مع الأمــم المتحدة على ضــمان اطراد مراعاة حقوق الإنســان والحريات الأساســية واحترامها.

ولمــا كان لــلإدراك العــام لهــذه الحقوق والحريــات الأهمية الكــبرى للوفــاء التام بهذا التعهــد، فــإن الجمعيــة العامة، تنــادي بهذا الإعــلان العالمــي لحقوق الإنســان عــلى أنه المســتوى المشــترك الذي ينبغي أن تســتهدفه الشــعوب والأمم كافة ؛ حتى يســعى كل فرد وهيئــة في المجتمــع، واضعين على الــدوام هذا الإعــلان نصب أعينهم، إلى توطيــد احترام هذه الحقوق والحريــات عن طريق التعليــم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قوميــة وعالمية، لضمان الاعــتراف بها ومراعاتهــا بصورة عالميــة فعالة بين الــدول الأعضــاء ذاتها وشــعوب البقاع الخاضعة لســلطاتها، وقد تضمــن القانون ٣٠ فقــرة[٣].

وبعد هــذه الجنبــة التعريفيــة لماهية حقوق الإنســان على الصعيد الوضعي الغــربي، لعلنا نعــرج إلى ماهية حقوق الإنســان عــلى صعيد التشريــع الإلهــي وما جــاءت بــه الشريعة الإســلامية، ومــما لا يخفــى عــلى الجميع أن الإســلام لا يخص أقوامًــا محدديــن، بل جاء خاتمًــا للشرائــع الســماوية ولــكل البشرية، وجاء بدســتور يشــمل الحياة الإنســانية، قال تعــالى: ﴿**إِنَّمَا أَنــتَ مُنــذِرٌ وَلِكُلِّ قَــوْمٍ هَادٍ**﴾ (الرعــد/ ٧)، ولو تدبرّنا الآيــة الكريمة لوجدنا انها تعني المجمــل وليس البعض مــن الأقوام، فهــو أمر إلهي ولكــن في أي عام ميــلادي جاء الإســلام ، بحدود الـ ٦٠٠ ميــلادي، بعد بعثة

عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف/ ١٥٧).

إذا فإن الإسلام جاء ليكمل المشوار الإلهي في الحفاظ على الجنس البشري والحياة العامة في الأرض، وكذلك الحيوانات والنباتات وخيرات الأرض، وجعلها متاحة للجميع بغير أجر أو مقابل، ولكن جعل في هذه الحياة قوانين وموارد للتعامل تضمن حقوق الجميع. فهل عجز الرب عن سنّ القوانين التي تحافظ على عباده الذين خلقهم؟ مما يلفت الانتباه هو أنّ الشريعة السماوية تبلّغ للبشر من قبل رسول له مواصفات محددة، منها أن يكون أمينا، وذا خلق عالٍ، ويتحلّى بصفات النبوغ، والتميز بالذكاء، وتصاحبه المعجزة التي يعجز عن الإتيان بها باقي الخلق، وهذا الأمر يجعله محط الاهتمام والانقياد، وإلّا فكيف يُقنع المتشددين أو المعاندين بأن يتبعوه في طريق الإصلاح، وليس الغرض من ذلك مجرد الاتباع، بل لكونه الوسيط بين العباد وبين ربهم ويبلغهم رسالته في العقيدة والعلم والاجتماع والسياسة والاقتصاد، فهل غفل الله تعالى عن أي شيء يفيد الإنسان حتى يذهب الإنسان الى وضع قوانين يريد أن يحافظ بها على حقوق الانسان؟ من هنا نود أن نعرف ماهية الجلبة التي يعملها الغير من أجل تسويق الأفكار التي تجلب مصالح خاصة للبعض، فتسوق بها عقول محددة تتواطأ معها في المصلحة، حيث تُعرّف الجَلَبة: من الجلب وهو سوق الشيء من موضع الى آخر، جَلَبه ويجلبه جلبًا واجتلبه وجلبت الشيء الى نفسي واجتلبته[٤]، وهذا ما يفعله أصحاب المصالح الشخصية والأغراض المنفعية، ومنهم من فعّل النظام الرأسمالي، والنظام الشيوعي ، ويجتهد في نشر مشروع العولمة وتطبيقه على العالم كله.

ولكن لا يغفل عن أصحاب الفكر والعلم أن التراث الإسلامي حمل في طياته أروع بنود حقوق الإنسان وهي (رسالة الحقوق) للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام[٥]، وقد تضمّنت خمسين حقًا يرضي الله تعالى ورسوله ويسير على نهج الرسول وما جاء من عند ربه، فأيهما أصلح للبشرية، رسالة سماوية أم منظمة تصدر قرارات تتوافق مع مجتمعات غربية لها عادات وتقاليد ووعي وعقيدة تختلف تمامًا عن المسلمين؟ وهي تعمّم هذه القرارات على البشرية جمعاء من منطلق الحرية والحفاظ على حقوق المرأة والطفل والأسرة، والحقيقة أنه لو تعاملت هذه المنظمات مع الدستور السماوي وفعلته بالوجه الذي أراده الله تعالى لكان أضمن بالنتائج، وأفضل بالتعامل، ضمانًا للأمان والاستقرار، ولكانت لهم القوة النافذة في العالم كله.

فلو كانت (حقوق الإنسان) التي أقرتها

المنظـــمات الدولية حقيقية وذات منفعة شـــاملة، فلماذا نـــرى الجوع والفقـــر، ودولًا تعيش ظروفًا سياســـية بائســـة، وتحارب الســـنن الإلهية بدون عقليـــة ولا موضوعية من قبـــل البعض؟ بل إن الســـنن الإلهية تواجـــه تحديات كبيرة لســـلخها من هويتها وتهميشـــها وتلوينها بألـــوان مغايرة لطبيعتهـــا؛ لكي تتماشـــى مع أغـــراض معينة ينشـــدها البعض.

وأخـــيرًا لن أقـــول الا قوله تعـــالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾ (الذاريـــات/ ٥٥-٦٠)، هذا ما جاء به محمـــد ﷺ أصدق البشر، فهل اســـتطاعت أن تجـــيء بمثله جهات أخرى وضعيـــة بشرية؟ وإن كانت قـــد جاءت بما فيـــه فائـــدة للبشرية فأين هـــذه الفائـــدة والعـــالم يواجه مشـــكلات جمّة وهي في حالة تزايـــد وتفاقم؟

لذلك ومـــن منطلـــق الحرص عـــلى الهوية الإســـلامية وَجَبَ على المؤمنـــين التصدّي لكل القـــرارات التـــي تخـــرج العباد من لباســـهم العبـــادي؛ لكونهم عباد الله وأحرارًا في انفســـهم، فان التبعيـــة للأنظمـــة الوضعية غـــير المطابقة للشرائع الســـماوية الصحيحة هـــو تخلّف وانقياد قطيعي، يعـــاني المفكرون والمثقفـــون منه، الذين يســـتقرؤون الحالـــة ويطالبون بالتغـــير، ولكن ليـــس مـــن مجيـــب الّا القليل؛ لكـــون صوت الجهة المقابلة يتفنن في عـــرض نظرياته ويدعمها بوســـائل إعلامية مغريـــة، تظهـــر فكرهم بأنه الأفضل والأكمـــل والأجمل والأســـهل، وعلى الرغـــم مـــن كل ذلك أملنـــا بـــالله والمؤمنين المتصدين لهـــذه الفتـــن والاغـــراءات الدنيوية كبـــير من حيـــث أنّ القرآن باقٍ مـــا بقيت الحياة والمعصـــوم ما يـــزال فينـــا ولن تهـــدم شريعة أرادهـــا الله تعالى أن تكون؛ لأن أمـــر الله نافذ، إذ ورد عـــن النبي الأكـــرم ﷺ: ((إنّي تارك فيكم الثقلـــين ما إن تمســـكتم بهما لن تضلـــوا: كتاب الله وعـــترتي أهل بيتـــي، وأنهما لـــن يفترقا حتى يـــردا عليّ الحوض))[٦].

١- https://www.un.org/ar/about-us/

٢- https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights/

٣- https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights/

٤- لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٢٦٨

٥- شرح رســـالة الحقوق، الإمام زيـــن العابدين عليه السلام، تحقيق: حسن الســـيد علي القبانجي

٦- وسائل الشيعة(ال البيت)، الحر العاملي، ج٢٧، ص٣٤.

حياة الإنسان المدنية فكرة القانون المدني

يريد الإنسان أن يعيش ويضمن حاجاته المادية، فلا بد عند ذلك من تملك الأشياء لسد حاجاته وحاجات (أسرته) منها. وهو ليس الوحيد في ذلك، فآخرون مثله يهدفون إلى الشيء نفسه، عندها تحدث المنافسة ويحدث الصراع بينهم على حيازة الشيء المادي وعلى تملكه.

وبغية تجنب هذا الصراع فقد توصل الإنسان إلى أن كل فرد تكون له أو يمكن أن تكون له حيازة الشيء المادي.

ومن هنا، يمكن القول، نشأت فكرة الملكية التي يمكن أن تكون، وتكون بالفعل من أساسيات الحياة الاجتماعية.

ولضمان حاجات الإنسان، في المجتمعات البدائية، كان يتم عن طريق المجهود الفردي ومن الوسط المادي الذي يحيط به وبأدوات بدائية. ولم يكن الأمر كذلك حين بدأت المجتمعات بالتطور، فلم يعد نفس الشخص منتجاً ومستهلكاً لهذا الشيء أو ذلك، وبدأ الأفراد ينتجون أشياء لا تخصص بصورة عامة لاستهلاكهم، أي لتلبية حاجاتهم الشخصية، وهذه الأشياء التي ينتجها الأفراد ولا يستهلكونها، يبادلون لقاء بضائع أخرى أو يبيعونها لقاء نقد، حين عرف الإنسان النقود وقيمتها والتعامل بها.

وفكرة التبادل او البيع أي التخلي عما يملكه الإنسان لقاء شيء آخر أو لقاء ثمن تتضمن في الحقيقة فكرة الدائنية والمديونية أي فكرة الالتزام: فأنا أتخلّى عن شيء أملكه لقاء شيء آخر أو لقاء نقد يعني أنني ملزم بإعطاء هذا الشيء إلى الشخص الآخر الطرف في هذا التعامل، فهو دائن إذن، إلا أنه مدين في الوقت ذاته بأن يسلم لمن تخلى عن الشيء الذي يملكه ما يقابله من مال أو نقد. فهناك إذن (التزام) متبادل بين شخصين أو طرفين ينشأ منطقياً وواقعياً عن طريق الاتفاق بين الطرفين، والإنفاق المنشئ للالتزام المتبادل هو العقد.

وميدان (الالتزامات التعاقدية) واسع، وواسع جداً بحيث يستغرق الجانب الأكبر من حياة الإنسان التي يكون للتبادل دور كبير فيها، ولهذا كان الاتجاه إلى اعتبار الملكية والالتزامات من المسائل الأساسية الواجبة التنظيم من قبل القانون، وهو (القانون المدني) وهكذا نشأ القانون المدني، وأن قواعده قديمة وأساسية ولصيقة بحياة الإنسان (المدنية) وبتحقيق سبل استمرارها وتطويرها. لذا يمكن القول أن القانون المدني ينظم كل ما يتعلق بحياة المواطن، فهو (قانون المواطن).

وعليه فإن القانون المدني يهتمّ بالفرد كإنسان بصرف النظر عن انتماءاته الأخرى المهنية أو الوظيفية أي يحكم البشر كل البشر في المجتمع؛ لأنه يحكم الوقائع والأعمال الأساسية في الحياة الإنسانية، ولهذا كان القانون المدني(القانون الشامل) الذي يغطي بتنظيمه كل مناحي حياة الفرد عدا تلك التي تستبعد بنص أو بتنظيم خاص[1].

١- الانسان والقانون، منذر الشاوي: ٣٥

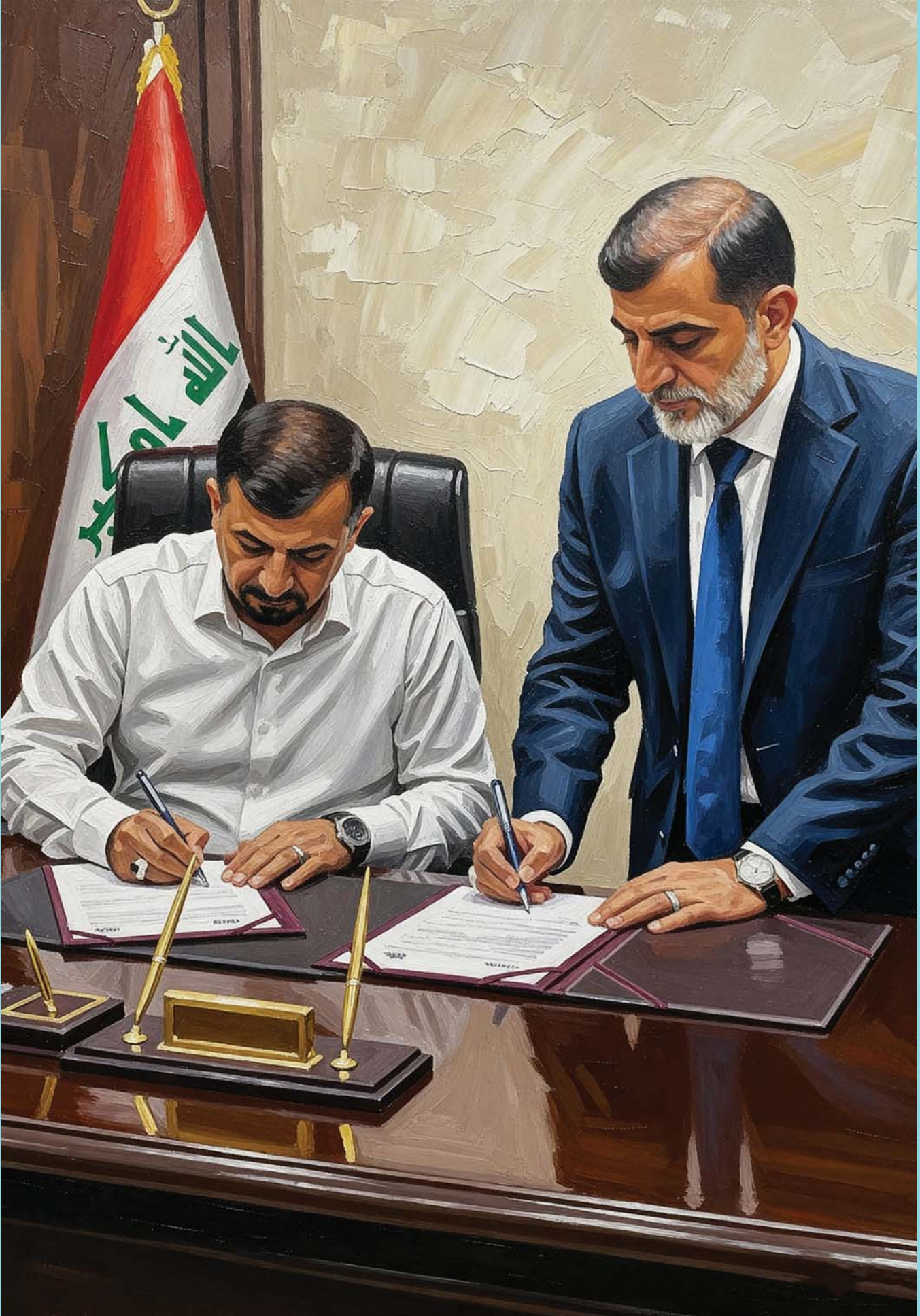

الشرق والغرب

- مفهوم الأرغونوميا ودلالاته في الفكر الغربي

أ.د. حميد سراج جابر
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

- نقوش الدولة الفاطمية وآثارها على المباني الأثرية في مصر

م. عدي حياوي كشكول يوسف
باحث في الآثار الإسلامية

مفهوم الأرغونوميا ودلالاته في الفكـر الغربي

أ.د. حميد سراج جابر
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

مفهوم الأرغونوميا

الأرغونوميا (Ergonomics) مصطلح يعود أصله إلى كلمة يونانية مركبة من شقين هما ergon وتعني عمل، وnomos وتعني قوانين[١] وتعني "قواعد العمل"، أي مجموعة القواعد التي تضبط أنشطة العمل[٢].

وقد اختلفت وتنوعت المصطلحات الدالة على هذا المفهوم من زمن لآخر، إلا أنها تصب في قالب واحد، يتعلق بالقدرات البشرية، فقد سميت الأرغونوميا بالعوامل البشرية، وهندسة العوامل البشرية، والهندسة البشرية، وهندسة علم النفس، وعلم العمل، وعلم تنظيم الشغل والأرغونوميات وعوامل الإنسان[٣].

وصحيح أن مفهوم الأورغونوميا متعدد التعريف، بحسب المدارس والتطور الزمني والمرحلي لظهوره، إلّا أن هناك عوامل مشتركة واضحة بين هذه التعريفات، يمكن استنتاجها بعد دراستها.

وأول هذه التعريفات تعريف مورلMurrel ١٩٤٩ الذي قال بأن الأورغونوميا هي محاولة دراسة وتحليل العمل، بغية تكييفه مع الإنسان وقدراته ومهاراته، أي تكييف العمل للإنسان[٤].

فيما عُرفت الأرغونوميا من طرف آخر بأنها الدراسة العلمية للعلاقة بين الإنسان ومحيط عمله، ويتمثل محيط العمل بالظروف التي يعيشها الفرد، وما يستخدمه من مكائن ومعدات في مواقع العمل، أما العلاقة الهندسية فتعني انسجامًا بين مقاييس الجسم البشري وقدراته العضلية والحسية، وما يستخدمه من المكان والمعدات والمواد، بهدف تكييف كل ما يحيط بالإنسان جسمه وقدراته كوحدة إنتاجية متكاملة[٥].

ورأى آخر أنه علم يختص بدراسة التفاعل ما بين الإنسان وعناصر أخرى، ويستعمل المعلومات والنظريات وطرائق التصميم، لتحسين حياة الإنسان والأداء العام[٦].

بينما نجد بعض الباحثين قد حصرها بمفهوم الهندسة البشرية، وقصد بها ذلك العلم الذي يشترك فيه علماء النفس والمهندسون، والذي يهتم بتصميم الآلات والأدوات والمعدات الصناعية، وتهيئة الظروف المحيطة بالعمل بحيث تتلاءم مع قدرات الإنسان في الإحساس والإدراك، بحيث تتفق قدراته النفسية والحركية مع قدراته على التعلم ومع أبعاد جسمه، بما يحقق له الراحة والأمن والرضا عن العمل[٧].

وكما أسلفنا على الرغم من تباين تعريفات هذا المصطلح وتنوعها إلا أنها تتمحور بشكل أو بآخر حول تنظيم العلاقة بين الانسان وبيئة العمل، بغية تحسين الإنتاج وراحة العامل، ومن ثم عرّفه بعض الباحثين بأنه ذلك المبحث العلمي الذي يهتم بتصميم الأدوات والمعدات في بيئة العمل، بحيث تتلاءم مع طبيعة الإنسان واحتياجاته[٨].

ونرى أن هناك من آثر الاعتماد على تعريف رابطة الأرغونوميات العالمية؛ لأنه تعريف رسمي للأرغونوميات، يمكن الاعتداد به عمليًا وأكاديميًا، وهو التعريف الذي أصدره المجلس التنفيذي لرابطة الأرغونوميات العالمية، الذي يُعرّف الأرغونوميا بأنها نطاق من العلم يتعلق بفهم التفاعل بين البشر والمكونات الأخرى في نظام حياتهم، وأنه المهنة التي تطبق النظريات العلمية والمبادئ والبيانات والأساليب المناسبة في تصميم معين، يمكن ان يحقق للبشر حياة مريحة آمنة وأداء أفضل لمهام حياتهم الشخصية والعملية[٩].

وهو يُشبه التعريف الخاص بجمعية

الأرغونوميات الأوروبية، التي عرّفت الأرغونوميا بأنها تُعنى بالتوافق والملاءمة والمطابقة، أي التوافق بين البشر والأشياء التي يستخدمونها، والأشياء التي يفعلونها، والبيئة التي يعملون خلالها وينتقلون في أرجائها، بل حتى التي يلهون ويلعبون فيها، وإذا ما تحقق هذا التوافق والملاءمة بشكل جيد، فإن الضغوط التي تقع على البشر تقل، وسيشعرون بالراحة أكثر، وسيمكنهم من أداء مهامهم، بشكل أسرع وأسهل، وسيقعون في عدد أقل من الأخطاء[١٠].

وعلى ما يبدو فإن المفهوم يعني هندسة القدرات البشرية بشكل يلائم البيئة التطبيقية العملية، مما يضفي عليها قوة وقدرة وتميزًا وهو أمر يعود بالتالي على زيادة الإنتاج في الكم والنوع ، بغض النظر عن نوع العمل هل يتعلق بالعلوم التطبيقية أم المعرفية، فالتفاعل وتوظيف القدرات هو الحد الفاصل في هذا الأمر.

أما بالنسبة لنشأة الأرغونوميا، فقد كان العالم والفيلسوف البولندي ووجيك جاسترزيبوسكى WojeichJastrzebowski أول من عرف هذا المفهوم، الذي اسماه علم العمل، وهو أول من حاول اشتقاق الاسم من اللفظتين اليونانيتين Ergon بمعني عمل وNomos بمعنى قانون أو تنظيم وذلك عام ١٨٥٧[١١]، ولكن ظل الأمر شبه مجهول حتى عام ١٩٤٩ عندما بدأ الناس يسمعون من يردد كلمة الأرغونوميات Ergonomics لأول مرة، عندما استعملها العالم الإنجليزي المعروف ميوريلMurrell الذي أكد على اشتقاق الاسم من اللفظين اليونانيين Ergon وNomos مرة أخرى، ثم شاع استخدام اللفظ على نطاق محدود من قبل مجموعة من العلماء البريطانيين والأوروبيين المهتمين بكفاءة الاستخدام اليدوي للمعدات العسكرية، فيما تلا انتهاء الحرب العالمية الثانية، ودخل الأرغونوميات (هندسة العوامل البشرية) مجال تصميم المنتجات وأماكن العمل بعد منتصف القرن الماضي، وتم الاعتراف به واستخدامه والاعتراف بقيمته دوليا بوصفه واحدا من أهم مقومات إعداد طلاب التصميم، وتوفير بيانات التصميم في بناء المنتجات والنظم الصناعية، بل تعد البيانات الأرغونومية وقياسات الجسم البشري من أهم أدوات المصممين في شتى بقاع العالم[١٢].

وهذا العلم متفرع من علم النفس، وهو بمثابة الأم له؛ لأنه يقوم بدراسة العمل والتفكير والتسلية البشرية، عبر انعكاسها في سلوكه في الاستخدام الأمثل للغرائز الأربعة وهي الحركة والإحساس والعقل والمشاعر[١٣].

---

١. بن عيسى ايمان، تصميم العمل وفق البعد الأرغونومي: ١٢.
٢. المصدر نفسه.
٣. حمدي الروبي، الأرغونوميا https://www.almerja.com/aklam
٤. ظ: بن عيسى ايمان، تصميم العمل وفق البعد الأرغونومي/ ١٣.
٥. المصدر نفسه: ١٦.
٦. ظ: الهندسة البشرية https://ar.wikipedia.org
٧. ظ: حمدي الروبي، الأرغونوميا https://www.almerja.com/aklam
٨. المصدر نفسه
٩. ينظر الهندسة البشرية https://ar.wikipedia.org
١٠. المصدر نفسه
١١. ظ: بن عيسى إيمان، تصميم العمل وفق البعد الأرغونومي: ١٣.
١٢. المصدر نفسه.
١٣. المصدر نفسه.

نقوش الدولة الفاطمية وآثارها على المباني الأثرية في مصر

م. عدي حياوي كشكول يوسف
باحث في الآثار الإسلامية

لقد أولى الفاطميون عناية فائقة بالزخارف والنقوش،إذ لم تكن مجرد عناصر جمالية فحسب، بل كانت تحمل مضامين فكرية ودينية عميقة، تدل على عقيدتهم الدينية التي تبنّتها الدولة الفاطمية، وتُبرز الولاء لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد مثّلت هذه النقوش وسيلة إعلامية ودعائية بامتياز، استخدمها الفاطميون لنشر دعوتهم وترسيخ شرعية خلافتهم في وجدان الناس، إذ امتلأت واجهات المباني وواجهات المساجد بالكتابات، التي تمجّد أهل البيت وتؤكّد أحقية الإمام علي عليه السلام في الخلافة، ومن بين أبرز المضامين التي تناولتها تلك النقوش، واقعة غدير خم، التي شكّلت حدثًا محوريًا في الفكر الفاطمي، باعتبارها اللحظة التي أعلن فيها النبي محمد صلى الله عليه وآله ولاية الإمام علي عليه السلام على المسلمين من بعده.

صورة رقم(١) نقوش باب النصر[١]:

يعد باب النصر أحد أبواب السور الشمالي لمدينة القاهرة للدولة الفاطمية، أنشأه "بدر الجمالي"[٢]، بدأ البناء سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م[٣] للدفاع عن مدينة القاهرة الفاطمية، شُيّد من الحجر، ما أضفى عليه طابعًا دفاعيًا قويًا، وجعله صامدًا لقرون، يتوسط الواجهة مدخل مقوّس يعلوه عقد نصف دائري، تعلوه لوحة حجرية، تتضمن كتابات كوفية بارزة، داخل إطار ذات طابع زخرفي وهندسي مميز، على جانبي العقد توجد زخارف دائرية تحتوي نجمة ثمانيّة، تُبرز الذوق الزخرفي الإسلامي، يظهر أعلى الواجهة إفريز حجري مزخرف بأسنان بارزة، تضيف بعدًا بصريًا جماليًا،

الكتابة الكوفية في اللوحة العلوية توثق اسم المنشئ وتاريخ البناء، وتُعد سجلاً تاريخيًا معمارياً مهما. تصميم الباب يدل على طراز العمارة العسكرية الإسلامية، من حيث القوة

صورة رقم(١) جزء من الصورة نقوش الكتابات الكوفية، تدون شهادة التوحيد والولاية للأمام علي عليه السلام ونقوش كتابية فوق باب النصر في القاهرة.

والصلابة، كما توجد فتحات للمراقبة والدفاع في الجانبين، ما يعزّز طابعه الدفاعي، يجمع باب النصر بين الوظيفة الحربية والزخرفة الفنية بدقة متناهية، إذ نشاهد على واجهة المدخل كتابات من الخط الكوفي المورّق من ثلاثة أسطر بداخل إطار مسنن، تحمل عبارات البسملة والتوحيد والتعظيم وكلمة الولاية والإمامة للإمام علي عليه السلام جاء نصّها: "بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله" "صلوات الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين".

صورة رقم(٢) نقوش محراب جامع بن طولون[٤]:

يُعدّ محراب جامع أحمد بن طولون من أقدم وأجمل المحاريب الإسلامية الباقية في مصر، ويُمثّل تحفة فنية نادرة، تنتمي إلى الطراز العباسي، ويعكس دقة الصنعة والزخرفة، والمحراب مصنوع من الخشب المغشّى بالجص، ومزيّن بزخارف نباتية وهندسية دقيقة، إلى جانب كتابات كوفية وزخرفية تملأ جوانبه، ما يمنحه طابعًا روحانيًا وفنيًا فريدًا.

يتكون المحراب من واجهة مستطيلة، تتخللها فتحة محاربية غائرة على شكل نصف قبة، تغطى بزخارف نجمية ونباتية متناظرة تتدرج من القاعدة إلى القمة، تُحيط بالمحراب إطارات من الكتابات الكوفية البارزة، التي تتضمن آيات قرآنية وأدعية، وقد كُتبت بحرف دقيق ومتقن، يبرز جمال الخط العربي في بداياته الفنية، ويُلحظ وجود قوس مدبب، يغطي الجزء

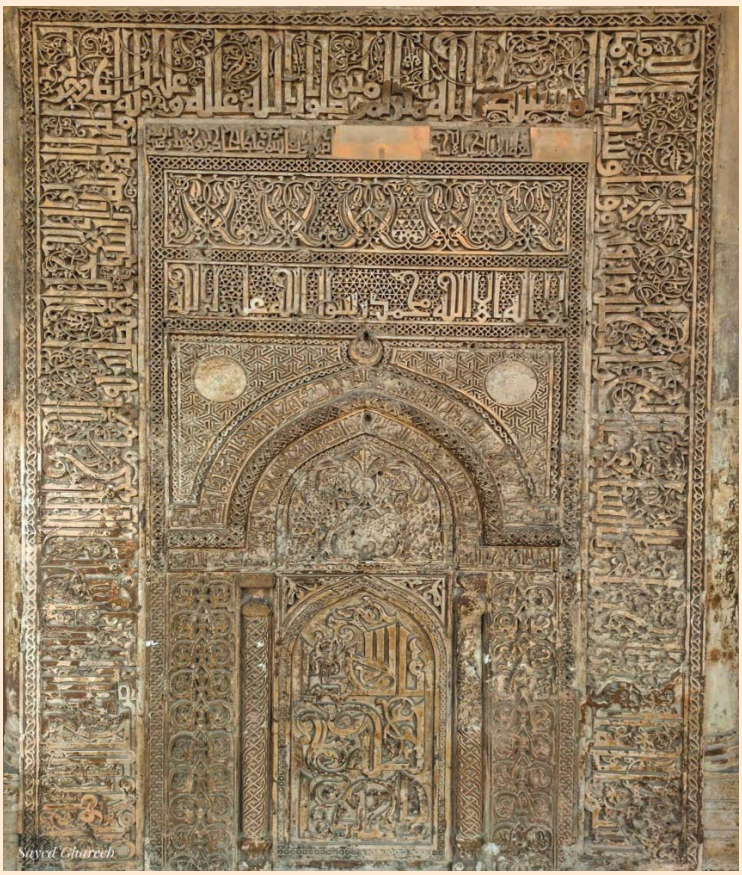

صورة رقم(٢) نقوش محراب جامع بن طولون

العلوي من فتحة المحراب، تتخلله زخارف تشبه أوراق العنب أو اللوتس، وتدلُّ على تأثر واضح بالزخارف العباسية القادمة من العراق، كما تُحيط بالمحراب لوحات زخرفية جانبية، تحوي أشكالًا هندسية معقدة ونقوشًا نباتية متداخلة، بأسلوب تناظري دقيق.

الكتابات الكوفية البارزة تم تنفيذها بنمط محفور بارز، وتُعد مثالًا على تطور الخط العربي في مصر خلال العصر الطولوني، وأبرز العبارات الولائية هو نص منقوش عند وسط أعلى المحراب عبارة نصها: "لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله"، كُتبت بالخط الكوفي المورق.

صورة رقم(٣) نقوش مسجد الصالح طلائع[٥]:

وهو آخر المساجد الفاطمية أنشأه "الصالح طلائع بن رزيك"[٦] الذي تولّى الوزارة سنة ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م بعد أن قُتل سلفه، وكان

له نفوذ كبير، إذ كان الوزير هو الحاكم الفعلي للدولة في تلك الحقبة، نظرًا لضعف الخلفاء الفاطميين في أواخر عهدهم، كان رجل دولة قويا، وأعاد بعض النظام والاستقرار للدولة الفاطمية بعد سنوات من الفوضى، وله مواقف سياسية تتسم بالمرونة والحكمة، يُذكر أنّه تشرف بزيارة الأئمة الأطهار في النجف الأشرف وكربلاء، وقد قدِم في أول أمره إلى زيارة الامام علي عليه السلام، مع جماعة من الفقراء، وكان من الشيعة الإمامية[٧]، قُتل سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦١م في مؤامرة داخل القصر بعد أن تكالبت عليه خصومات الملك الصالح طلائع، فحزن الناس عليه لحسن سيرته، وأقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة ومصر[٨] ، بنى جامعًا شهيرًا في القاهرة يُعدّ من المعالم المعمارية البارزة في تاريخ العمارة الفاطمية، ومن أهم السمات الفنية التي تميّزه تلك النقوش البارزة التي تزيّن واجهته الغربية، فقد كُتبت على هذه الواجهة عبارات ولائية تُجسّد النزعة الشيعية للدولة الفاطمية، وقد نُفِّذت هذه العبارات بخط كوفي زخرفي دقيق، يدل على المستوى العالي من الإتقان الفني الذي بلغه الخطاطون والحرفيون في تلك الحقبة. وتشير هذه النقوش إلى البعد العقدي الذي حرص المعماريون الفاطميون على تجسيده في عماراتهم، بحيث لا تقتصر وظيفة الجامع على الجانب الديني فحسب، بل تؤدي أيضًا دورًا تعبيريًا عن هوية الدولة ومبادئها، إذ يتوسطها المدخل الرئيس، الذي أقيمت أمامه سقفية تنتهي في طرفيها الشمالي والجنوبي بغرفتين، وهي تطل على الطريق بوساطة بائكة تتألف من أربعة أعمدة رخامية، ذات قواعد مرتفعة، تعلوها خمسة عقود منفرجة، نقشت إطاراتها بزخارف هندسية، ويعلو نهاية هذه الواجهة وبداية الواجهة الشمالية شريط من الكتابات الكوفية المزهرة: "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة

صورة رقم(٣) نقوش مسجد الصالح طلائع

فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الطاهرين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمس مائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين"

جامع الأقمر:

هو أحد أبرز الجوامع الفاطمية في القاهرة، أنشأه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ - ١١٢٥ م على يد وزيره "المأمون البطائحي"[٩]، الذي اهتم ببناء المساجد، وكان أهمها جامع الأقمر[١٠]، ويتميز الجامع، على صغره، بغناه الفني والمعماري، وتحديدًا في نقوشه الكتابية التي تمثّل محورًا أساسيًا في دراسة الفنون الفاطمية، بل تُعد أحد أهم الوسائل التي استعملها الخلفاء الفاطميون لبسط هيمنتهم الدينية والسياسية.

تُظهر واجهته الزخارف الفاطمية المميزة، بما في ذلك الخط الكوفي المزخرف والرموز العقدية الشيعية، التي تُبرز هوية الدولة الفاطمية، إذ يضم الجامع نقوشًا تُمجّد الإمام علي عليه السلام، بوصفه الخليفة الشرعي للأمة الإسلامية جميعا، وتُبرز البعد العقدي في العمارة الفاطمية، ما يجعله ليس فقط مكانًا للعبادة، بل أيضًا وسيلة للتعبير عن ولاء الدولة لمذهبها.

ومن أهم النقوش الكتابية، التي تحتل موقعًا مركزيًا خاصة على واجهاته الحجرية الخارجية، التي عبرها تخاطب المارة مباشرة تمامًا، التي لم تكن مجرد زخرفة، بل رسائل ذات طابع دعائي وسياسي، يحمل بصمة الدولة الفاطمية، وقد اخترنا من بينها أهم النقوش التي تُجسد هذه الدلالات بوضوح:

صورة رقم(٤) الجناح الشمالي الأيسر من واجهة المدخل مسجد الأقمر القاهرة[١١]

تظهر لهذه الصورة زخرفة دائرية حجرية، تقع داخل طاقية محارية، تتشعّب منها خطوط شعاعية أشبه بأشعة الشمس، ما يمنح الزخرفة طابعاً إشعاعياً مركزياً، في قلب هذه الدائرة نجد اسم الإمام علي عليه السلام مكتوباً بخط كوفي مزخرف، محاطاً بدائرة ثانية تحتوي على حروف هندسية متشابكة، تُشكّل اسم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، يحاول الفنان أن يجمع النقش بين البعد العقدي والتصميم الفني، استطاع إيصال فكرة فنية للناظر من جعل الامام علي عليه السلام في مركزية دائرة النبوة بطريقة جمالية، ترتكز على التماثل الهندسي والانسجام الخطي في هذا العمل الفني، والزخرفة المنحوتة بدقة في الحجر مما يدلّ على مهارة الصناع المسلمين، واهتمامهم باقتران العقيدة بالفن، إذ تُستعمل مثل هذه العناصر لنقل رسالة عقدية عبر اللغة البصرية.

صورة رقم(٤) الجناح الشمالي الأيسر من واجهة المدخل مسجد الأقمر القاهرة

صورة رقم(٥) مدخل الجناح الغربي "طاقية إشعاعية"[١٢]

يظهر عبر هذا المدخل المشابه لمدخل الجناح الشمالي من الناحية التصميمية والفنية، إلا النقوش الكتابية قد اختلف فيها، فنجد مركز الدائرة كتابة كوفية لاسمي (محمد وعلي) ثم تحاط بدائرة أخرى لنقش كتابي من الخط الكوفي نصّه الآية الكريمة: "بسم الله الرحمن الرحيم انما يريد الله ليذهب عنك الرجس اهل البيت".

يُظهر هذا المدخل تشابهًا ملحوظًا مع مدخل الجناح الشمالي من حيث الأسلوب الفني والتكوين المعماري، لاسيما في استعمال الطاقية المحارية ذات الخطوط الشعاعية المتجهة نحو مركز زخرفة دائرية، إلّا أن هذا المدخل يتميّز باختلاف واضح في نوعية النقوش الكتابية، التي يحملها، ففي مركز الدائرة، نجد كتابات كوفية زخرفية لاسمي "محمد" و"علي" عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد نُفذت بخط كوفي غليظ، تتّسم بطابع زخرفي وهندسي يسبغ على النص بُعدًا روحانيًا وجماليًا. وتحيط بهذه الدائرة الداخلية دائرة أكبر، تحمل نقشًا كتابيًا آخر بخط كوفي أكثر امتدادًا واتساعًا، يتضمن نص الآية الكريمة: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**: **إِنَّمَا يُرِيدُ**

صورة رقم (٥) مدخل الجناح الغربي "طاقية إشعاعية" جامع الأقمر

اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، ما يُبرز توجهًا عقديًا واضحًا، يربط بين الزخرفة الفنية والمضمون الديني الولائي. وتُعد هذه المعالجة الفنية مثالًا على توظيف الخط الكوفي في خدمة المعنى العقدي ضمن السياق المعماري الإسلامي، إذ تتحول العناصر الزخرفية إلى خطاب بصري، يعزّز مكانة أهل البيت عليهم السلام ضمن البناء الفني والروحي للمنشأة.

صورة رقم(٦) نقوش النافذة الهوائية[١٣]

ومن أبرز العناصر الزخرفية، في واجهة الجامع الأقمر الفاطمي بالقاهرة، نافذةٌ مزخرفةٌ متميزةٌ، تُعدّ من التحف الفنية المعمارية النادرة، إذ تجسّد تداخلاً متقناً بين الزخرفة الهندسية والنباتية والكتابية في إطار فني فاطمي راقٍ، تتخذ النافذة شكلاً مستطيلاً محاطاً بإطار زخرفي غني بنقوش نباتية متكررة ودقيقة، تُبرز مهارة الفنان المسلم واهتمامه بالتفاصيل الجمالية.

وفي الجزء العلوي من النافذة تتجلى كتابة كوفية مورقة بارزة، تحمل عبارة التوحيد: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" مشيرة إلى البعد العقدي في تصميم الواجهة، يتوسط النافذة عقد مدبب نصف دائري مزخرف، يحتوي على عنصر نباتي متشابك، يتكوّن من سيقان ملتوية، تتخللها أوراق دقيقة، ما يضفي حيوية على الزخرفة، وعلى جانبي كوشة العقد"[١٤]، نلحظ وجود دائرتين صغيرتين، تتضمنان كتابتين كوفيتين تحملان اسمي "محمد" و"علي"، في إشارة رمزية واضحة إلى العلاقة الروحية والولائية

بين النبي الأكرم محمد ﷺ والإمام علي عليه السلام، وهي دلالة عقدية مقصودة في الفن الفاطمي، ويتوسط العقد إناء كشكولة[١٥]، الذي يبدو كروي الشكل معلقا بثلاث سلاسل معلقة عند نهاية العقد المدبب.

أما في الجزء السفلي من النافذة، فتظهر زخرفة هندسية بديعة، تتكون من تداخل أضلاع وخطوط متماثلة، تُشكّل نجمة سداسية محاطة بزخارف شبكية متكررة، تُشبه نجومًا متعدّدة الرؤوس، في نظام هندسي دقيق، ينمّ عن وعي عالٍ بالرياضيات والزخرفة لدى الصناع المسلمين، تُحيط بالنافذة أعمدة حلزونية من الجانبين، بينما تمتد الزخارف النباتية الدقيقة داخل الإطار، لتربط العناصر ببعضها بتناغم بصري، والمزج بين الفن الهندسي والنباتي في هذه النافذة، يُبرز دقة الصناع المسلمين، واهتمامهم بالتفاصيل الجمالية، والنافذة ليست مجرد عنصر معماري، بل تمثل تجسيداً للفكر الفني الفاطمي، الذي يمزج العقيدة بالجمال.

صورة رقم(٦) نقوش النافذة الجدارية جامع الأقمر

صورة رقم(٧) المقرنصات الركنية في الزاوية الشمالية (الركن المشطوف)[١٦]:

من العناصر المعمارية والزخرفية اللافتة في جامع الأقمر الفاطمي بالقاهرة ما يُعرف بـ المقرنص[١٧] أو بـ "الركن المشطوف"، وهو عنصر معماري فني متميز، تم توظيفه عند التقاء الواجهة بالجدار الجانبي للمسجد، تجمع بين الوظيفة الجمالية والدلالات الرمزية، ويتكوّن الركن من ثلاثة تجاويف معقودة ومقرنصة، تتوزع بشكل مائل، يخالف الزاوية القائمة التقليدية، ما يتيح رؤية أفضل للكتابة والزخرفة من اتجاهين مختلفين.

في هذا الركن نُقشت كتابة كوفية هي: الآية القرآنية الكريمة: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"(النحل: ١٢٨)، وقد قُسِّمت بطريقة ذكية؛ لتتناسب مع تقسيمات الركن، فالجزء الأول من الآية "إن الله مع" كُتب في الجزء العلوي من الحنية المركزية، في حين تم توزيع

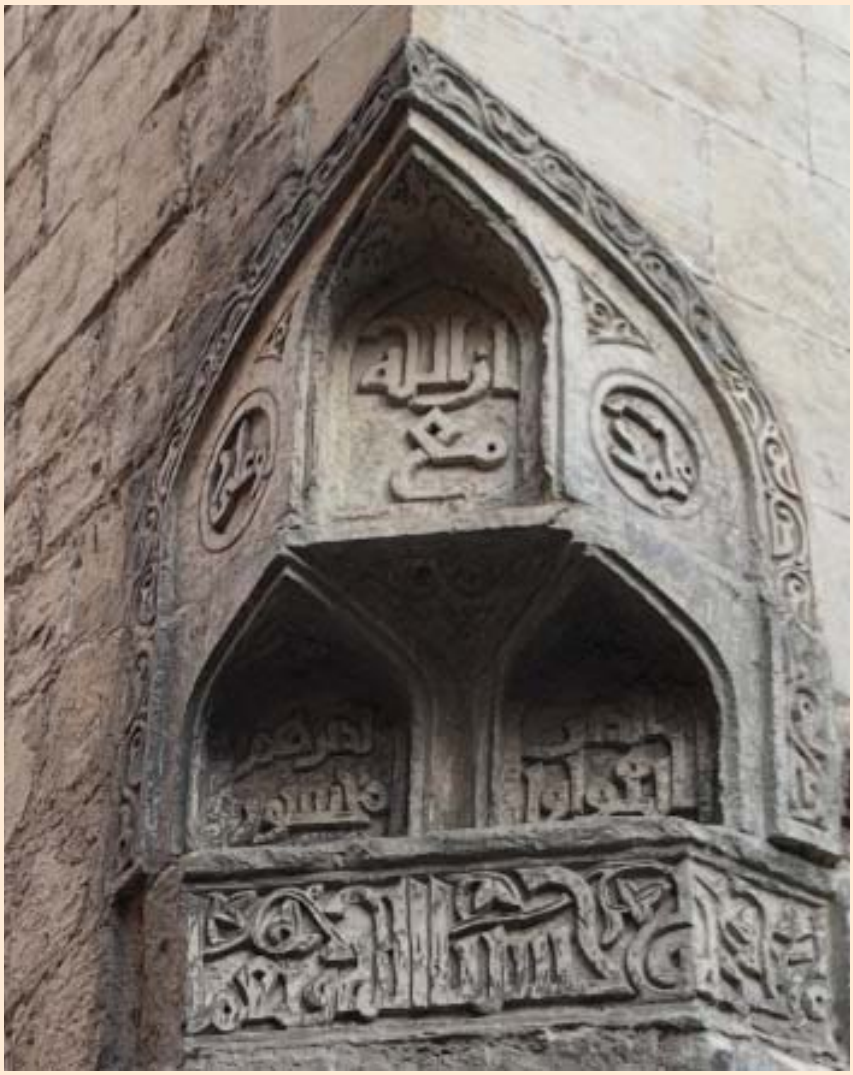

صورة رقم(٧) تصوير جانبي لمقرنص الركن الشمالي لجامع الأقمر

الشـــطر الثـــاني "الذيـــن اتقـــوا والذين هم محسنون" في أســـفل الحنايا الثلاث بطريقة متوازنة، ويُلحـــظ في الدائرتـــين الزخرفيتين عـــلى جانبي الركـــن وجود اســـمين بارزين منقوشـــين بالخط الكوفي، همـــا "محمد" و"علي"، وقد وُضعا بشـــكل متقابـــل في دلالة رمزية عميقة عـــبر هذا التصميم، أراد الفنـــان الفاطمي التعبير عـــن العلاقة الروحية والولائيـــة الوثيقة بين النبي الأكـــرم ﷺ والإمام

علي عليه السلام، مستعيناً في ذلك بالآية الكريمة، التي تتحدث عن معية الله للمتقين والمحسنين، ليعزّز مفهوم التقوى والإحسان في شخصية الإمام علي عليه السلام، بوصفه امتدادا لرسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

https://egymonuments.gov.eg/ar/monu-.١
/ments/bab-al-nasr

٢. وهو من أبرز القادة العسكريين في العصر الفاطمي بدر بن عبد الله الأمير الأرمني الجمالي، من أصول أرمنية، اشتراه جمال الملك بن عمار الطرابلسي، وربّاه في بلاطه، فنشأ نشأة عسكرية وإدارية أهلته للترقي في المناصب، حتى أصبح من كبار قادة الدولة الفاطمية. تولّى نيابة دمشق سنة ٤٥٥هـ في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٨١.

٣. عبرة، الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقيا ومصر واليمن: ٢٥٦.

https://web.mit.edu/4.615/www/imag-.٤
es/1019.html

https://commons.wikimedia.org/wiki/File:-.٥
Cairo,_moschea_di_as-salih_talai,_01.JPG

٦. وهو ابو الغارات الملك صالح بن رزيك واحد من أبرز الوزراء في الدولة الفاطمية في مصر خلال القرن ٦هـ-٢١م، حيث كان أديبا وعالما وشاعرا وشجاعا سائسا، الذهبي، سير اعلام النبلاء: ٢٠/ ٣٩٨.

٧. مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة: ٩/ ٢١٢.

٨. الظاهري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٥/ ٣٤٥.

٩. وهو من الوزراء البارزين في الدولة الفاطمية محمد بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمام المأمون، عرف بالبطائحي نسبةً إلى أصوله، التي تنحدر إلى منطقة البطائح الواقعة بين البصرة والكوفة: عبد النبي، علي فيصل، "الوزير المأمون البطائحي سيرته ودوره في الخلافة الفاطمية- ٥١٥-٥١٩هـ / ١١٢١- ١١٢٥م" مجلة كلية التربية جامعة المستنصرية: ٦/ ٦٠٥.

١٠. ابن خلكان، وفيات الاعيان وابناء الزمان: ٤/ ٤٩٨.

https://almasdarr.blogspot.com/2020/09/.١١
normal-0-false-false-false_21.html

https://en.m.wikipedia.org/wiki/Aqmar_.١٢
Mosque

https://lms.su.edu.pk/download?-.١٣
filename=1606826112-fatimiddynas-
.ty-161115111116.pdf&lesson=33396

١٤. يعرف بالمصطلح الآثاري المعماري المساحة المنحصرة بين قوس العقد ومربع محيط قائم الزاوية من الأعلى، التي غالباً ما تملأ بمساحتها المحصورة بالزخارف النباتية او الهندسية او الكتابات المتشابكة والمتداخلة بين بعضها البعض ، ويسمى هذا الفن بالأرابسك: عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية:٢٥٦

١٥. وهي من أواني الطبخ ذات أشكال بيضوية او كروية الشكل، تصنع من معدن النحاس او الذهب، وتُعرف بالفارسية باسم كشكول، ويبدو أن الفنان اختار هذا الإناء لما له من علاقة روحانية لدى الشيعة بالأئمة الاطهار عليهم السلام، إذ كانوا يجمعون بها ما يتيسر لهم من المال، وينفقون منه النذر، ويرسل المتبقي منها بعد مماتهم إلى عتبات الائمة الأطهار عليهم السلام: محاضرة علمية، من قبل دكتورة منى عثمان الغباشي، بعنوان: فنون المشرق الاسلامي – فن صناعة وزخرفة المعادن.

https://www.archnet.org/sites/2310?me-.١٦
dia_content_id=99843

١٧. المقرنص هو عنصر معماري و زخرفي يشبه خلايا النحل، يتم انشاؤها في سلسلة من الأقواس المعكوسة في صفوف متصلة مع بعضها البعض، الشيماء ابو الغيط، المقرنصات دراسة تحليلية تطبيقية: ٢٥.

ذاكرة الأمم

- فاطمة الزهراء عليها السلام في كتابات الشاميين في القرن السادس الهجري تاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) أنموذجًا

أ.م.د إسراء أمين عبد الله المحنه
جامعة الكوفة - كلية الآداب

- الشيلان حكاية مكان متحف يجمع بين طياته تراث النجف الاشرف وثورة العشرين

علي بنيّان
مُنقب آثار/ الهيئة العامة للآثار والتراث

فاطمة الزهراء عليها السلام في كتابات الشاميين في القرن السادس الهجري

تاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) أنموذجًا

أ.م.د إسراء أمين عبد الله المحنه
جامعة الكوفة - كلية الآداب

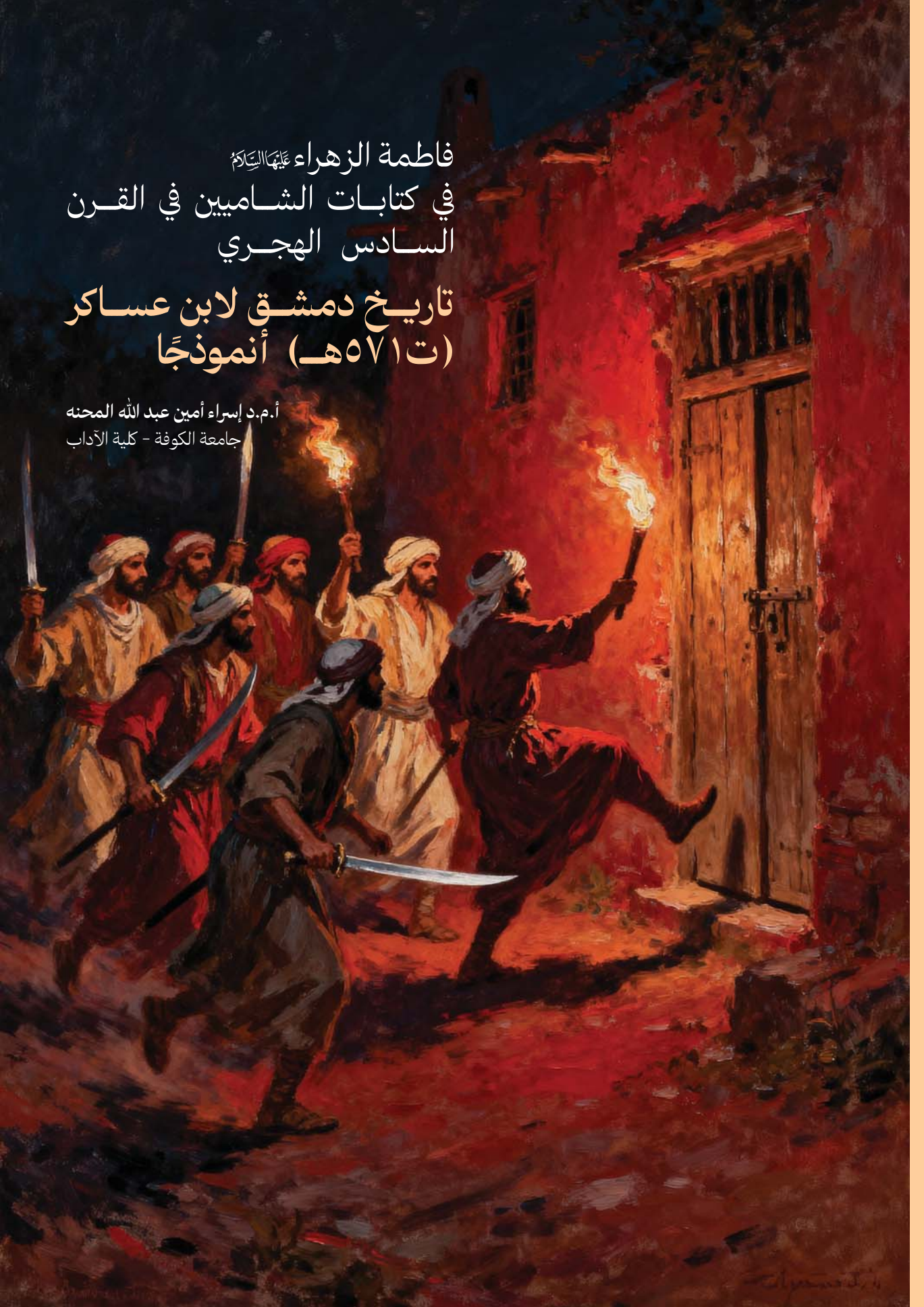

فاطمة الزهراء عليها السلام هي بضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي مثّل ثورة في أركان الفكر الإنساني، وفاطمة الزهراء عليها السلام هي زوج سيد البلغاء والمتكلمين والامتداد الحقيقي لأعظم نبي عرفته الإنسانية، مثلت فاطمة الزهراء عليها السلام أشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة ورعاية وعناية ، فضلًا عما كانت عليه من ذكاء وقّاد وفطنة حادة وعلم واسع[1].

وقد ترعرعت السيدة الزهراء عليها السلام في بيئة إيمان ويقين ووفاء وإخلاص وزهد، وهي تحذو حذو أبيها في كل كمال، حتى قالت عنها عائشة (اذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، وما رأيت أحدًا من خلق أشبه كلامًا وحديثا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به)[2].

وتبعًا لذلك فإنّ كثيرًا من المؤرخين من مختلف المذاهب الإسلامية اعتنوا بتتبع أخبار السيدة الزهراء عليها السلام وذكر المرويات التاريخية، التي تناولت حياتها وسيرتها العطرة من يوم ولادتها الميمونة المباركة إلى وفاتها ومدفنها سرّا في ظلمات الليل وإخفاء قبرها، حيث رُصد اهتمام المؤرخين في ذكر اخبار الزهراء عليها السلام ومنهم المؤرخون الشاميون.

ابن عساكر:

ولعل الحافظ علي بن الحسن الدمشقي المعروف بابن عساكر يُعدّ في مقدمة المؤرخين الشاميين، وهو محدث الشام وثقة الدين عندهم وهو علي بن الشيخ أبي محمد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين المتوفى في الحادي عشر من رجب ليلة الاثنين سنة إحدى وسبعين وخمسمائة من الهجرة، في كتابه (تاريخ دمشق) الذي يعد من أضخم وأهم المصنفات في التاريخ الإسلامي، وهو من أوسع المصادر في التراجم، وقد صنّفه أواسط القرن السادس الهجري.

وكان منهجه في الكتاب هو منهج المحدثين، اعتمد في الرواية على السند مهما طال أو تعدد، فلا يذكر خبراً إلا ويسبقه إسناده، وقد يكرر الخبر الواحد ما دامت هناك فائدة من زيادة أو توضيح. واتبع في التراجم التنظيم الألفبائي المعروف، مراعياً في ذلك أسماء الآباء بعد أسماء المترجمين، لكنه بدأ التراجم بمن اسمه أحمد، تيمنًا باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد أن فرغ من التراجم المرتبة أسماؤها ترتيب المعجم، أورد من عُرف من الرجال بكنيته فقط، مراعياً في ذلك الترتيب الألفبائي أيضاً، ثم أعقب ذلك بالمجاهيل ممن عُرفت لهم رواية ولم يعرف لهم اسم، ثم ختم الكتاب بتراجم النساء، ملتزماً المنهج نفسه في الترتيب والتنظيم، وقد خصّهنّ بمجلد مستقل، لتسع مائة وست وتسعين ترجمة من شهيرات النساء.

وقد تعددت موارد ابن عساكر في مروياته التي ورد فيها ذكر السيدة الزهراء، فنجد أنه نقل عن ابن شهاب الزهري المعروف بميوله الأموية كونه مؤرخًا للسلطة[3]، ونقل كذلك عن عائشة بنت أبي بكر، ومن موارده كذلك عروة بن الزبير ذو الميول الأموية كما نقل عن المسور بن مخرمة الذي نصب العداء لأهل البيت حتى قيل عنه أنه (ما ذكر معاوية الا صلّى عليه)[4].

وبدءًا من مولد السيدة الزهراء فإن مروياته

تنقل ان مولدها (وقريش تبني الكعبة والنبي ابن خمس وثلاثين سنة)[٥]، وهو بذلك يفترض أن عمرها الشريف لما توفيت كان ثماني وعشرين سنة[٦]، مع ذكره لاختلاف الآراء في ذلك[٧]، ومن مرويات ابن عساكر ما ذكره عن بعض العلويين ومنها روايته عن الحسين بن زيد بن علي بإسناده عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: (يا فاطمة إن الله تبارك وتعالى ليغضب وقال: الحيري يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[٨].

خبر استشهادها عليها السلام:

وذكر عن المِسْوَر بن مخرمة قال(إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها)[٩]، اما قضية زواج علي بن أبي طالب عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكرها صاحب تاريخ دمشق الآتي(تزوج علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لثلاث بقين من شهر صفر[١٠] في السنة الثانية للهجرة والخبر مسنود الى ابن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وذكر في أكثر من أحد عشر موضعًا رواية تزويج فاطمة لعلي بأسانيد مختلفة[١١]، منها ما رواه عن عائشة أنها قالت حدثتني فاطمة ابنة محمد أن النبي صلى الله عليه وآله قال لها (زوّجتك أعلم المؤمنين علمًا، وأقدمهم سلما، وأفضلهم حلمًا)[١٢]، ومما رواه في مناقب فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا وفاطمة والحسن والحسين مجتمعون هذه فاطمة وهذان الحسن والحسين ومن أحبّهما يوم القيامة في الجنة يأكل ويشرب حتى يفرّق بين العباد)[١٣].

وروي أن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن فاطمة وعليًا والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبّة بيضاء سقفها عرش الرّحمن)[١٤].

وعن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: (قم بنا يا أبا بريدة نعود فاطمة»، فلما أن دخلنا عليها أبصرت أباها ودمعت عيناها، قال: (ما يبكيك يا بنية؟) قالت: قلّة الطعام، وكثرة الهمّ، وشدّة السّقم، قال: (أما والله لما عند الله خير مما ترغبين إليه، يا فاطمة أما ترضين أنّي زوّجتك أقدمهم سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأفضلهم حلمًا، وأنّ ابنيك لمن شباب أهل الجنة)[١٥].

ومن المرويات التي ذكرها بإسنادها عن فاطمة الزهراء عليها السلام ذكر عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن جدته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد حمد الله... وصلى على النبي وقال (اللهم افتح لي أبواب رحمتك).

وفي قضية استشهادها عليها السلام نجد أنه يروي: (...توفيت فاطمة فيما أخبرني به محمد بن عمر، أنبأنا معمر عن الزّهري عن عروة عن عائشة: أن فاطمة توفيت بعد النبي بستة أشهر)[١٦].

وأنها دفنت ليلا وكان قد نقل روايات عن عائشة، إلا أنه ذكر عن محمد بن عمر مؤكد أنه(اثبت عندنا) مع أنه ذكر روايات أخرى عن ابن شهاب ثمانية أشهر على قول وثلاثة أشهر على قول آخر .

إلّا أننا نجد أنه يرجح الرواية التي تؤكد وفاتها ليلة الثلاثاء وأنها بنت ٢٩ سنة[١٧]، كما أكدت الروايات التي ذكرها أنها دُفنت ليلًا، وأن الإمام هو من تولّى ذلك وعدم مشاركة الصحابة في عملية

دفن بضعة الرسول إلّا أنه لم يُشر إلى دخول أبي بكر وعمر إلى بيت الزهراء لإجبار الإمام علي عليه السلام على البيعة[١٨] ولكنه ذكر ان البيعة تمت بعد وفاة فاطمة الزهراء (فاجتمع الى علي اهل بيته فبعثوا الى أبي بكر ائتنا فقال عمر: والله لا تأتيهم فقال ابو بكر والله لآتينهم وما يخاف عليّ منهم ...)[١٩].

أسباب سياسية:

ويبدو أن ابن عساكر تغاضى عن ذكر بعض القضايا لأسباب ربما سياسية او مذهبية، في الوقت الذي نجد أنه يذكر قول أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه، أنه قال:(وددت لو أني لم اكن اكشف بيت فاطمة وأني أغلقت على المحامد)[٢٠] وهذا اعتراف واضح بكشف بيت الزهراء وندمه على ذلك.

وفي قضية فدك نجد أن ابن عساكر ينفي أن رسول الله وهبها للسيدة فاطمة في حياته، وأنها سألته أن يهبها لها فرفض، والكلام على لسان عمر بن عبد العزيز قائلًا(... فرأيت أمرًا منعه رسول الله فاطمة ليس لي بحق، وإنّي أشهدكم أنّي قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله)[٢١] على الرغم من اتفاق المصادر على ان فدك نحلة رسول الله صلى الله عليه وآله قد وهبها لفاطمة[٢٢] وأنها احتجت على أبي بكر بذلك[٢٣].

وأما أنه وهبها لفاطمة عليها السلام فلا خلاف في أنها صلوات الله عليها ادّعت النحلة مع عصمتها الثابتة بالأدلة الدامغة، وشهد لها من ثبتت عصمته بالأدلة الماضية والآتية والمعصوم لا يدّعي إلا الحق ولا يشهد إلا بالحق ويدور الحق معه حيثما دار.

تحكمت الميول المذهبية ولربما التجاذبات الطائفية التي سادت في القرن السادس الهجري في طبيعة ما نقل وصنف ابن عساكر فيما يخص السيدة الزهراء عليها السلام فنجده قد اغفل ذكر بعض الحقائق التاريخية الواردة في المصادر السابقة له، ولولا سلوكه هذا لما كان بمقدور ابن عساكر أن يصل إلى أجندته والأهداف التي ابتغاها. فالتاريخ ليس فقط ميداناً لسرد الأحداث، بل هو في أكثر الحالات حلبة صراع بين أطراف كثيرة. فكلّ طرف يريد أن يُبرز أخباراً وأشخاصاً وأحداثاً معيّنةً وأن يخفي أخباراً وأشخاصاً وأحداثاً أخرى، ويضع ما يختاره في أطر معيّنة بحيث يصبح من السهل على القارئ أن يستنتج ويقتنع بأيديولوجيّة ما من دون أن يعي أنّه ضحيّة لها.

---

١. هاشمية حميد جعفر، الطفولة وحقوق الطفل عند فاطمة الزهراء، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد٢٠، المجلد الاول، ٢٠١٣: ٢٩٥.
٢. الترمذي، السنن: ١/ ٤٣٧.
٣. زكار، سهيل، الامام ابن شهاب الزهري المستشار التاريخي للبلاط المرواني، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد٢١٠:١.
٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥١.
٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق:٣/ ١٥٧.
٦. المصدر نفسه:٣/ ١٦١.
٧. المصدر نفسه:٣٠/ ٢٨٨.
٨. المصدر نفسه:٣٢/ ١٥٦.
٩. المصدر نفسه:٣/ ١٥٦.
١٠. المصدر نفسه:٣/ ٢٨ .
١١. المصدر نفسه : ٥٢/ ٤٤٥.
١٢. المصدر نفسه:٤٢/ ١٣٢.
١٣. المصدر نفسه:١٢/ ٢٢٧.
١٤. المصدر نفسه:١٢/ ٢٢٧.
١٥. المصدر نفسه:٤٢/ ١٣٢.
١٦. المصدر نفسه:٢/ ١٢٨.
١٧. المصدر نفسه:٣/ ١٦٢.
١٨. الدينوري، الإمامة والسياسة:١/ ٢١.
١٩. ابن عساكر، تأريخ دمشق:٣/ ١٦١.
٢٠. المصدر نفسه:٣٠/ ٤٢٠.
٢١. المصدر نفسه:٤٥/ ١٧٩.
٢٢. الطبري، تاريخ الطبري: ٣/ ٢٠٨.
٢٣. المجلسي، بحار الأنوار:٢٩/ ٣٤٩.

الشيلان حكاية مكان

متحف يجمع بين طياته تراث النجف الاشرف وثورة العشرين

علي بنيّان
مُنقب اثار/ الهيئة العامة للأثار والتراث

تبقى الأماكن شواهد على أحداث مات أهلها وانقضى زمانهم وأُحيلت على رفوف النسيان، لتكون علامة استفهام للأجيال القادمة وذريعة لسرد الحكايات من الآباء الى الأبناء، فمنها تنطلق الحكايات التي ارتبطت بهذه الأماكن وبالرجال الذين لعبوا أدوارًا مهمة في الماضي، والتي تشكل جزءًا من ماضينا.

إنَّ المتاحف بوصفها مؤسسات تعليمية تهتم بحفظ التراث المحلي لمنطقة ما أو بلد معينة، أصبحت من ضروريات المدن والبلدان فهي الخازن الأمين لهذا الماضي المتمثل بالتراث المادي وغير المادي.

كما لها دور اقتصادي فهي قبلة للسياحة على نوعيها الداخلية والخارجية، والتي تعمل على تصدير ثقافة البلاد أو المنطقة من عادات وتقاليد وحرف وتاريخ للعالم من خلال روّاد المتاحف.

وأنّ المجلس الدولي للمتحف (ICOM) عرّف المتحف على أن: "المتحف مؤسسة دائمة غير ربحية، تعمل في خدمة المجتمع، وتبحث في التراث المادي وغير المادي، وتجمعه، وتحفظه، وتفسّره، وتعرضه. المتاحف مفتوحة للجمهور، ومتاحة للجميع، وشاملة للجميع، وتعزز التنوع والاستدامة. تعمل المتاحف وتتواصل مع المجتمعات المحلية بأخلاقيات ومهنية، بمشاركة مجتمعية، مقدمةً تجارب متنوعة للتعليم والمتعة والتأمل وتبادل المعرفة[1]".

في هذا السياق، يبرز خان الشيلان بوصفه شاهدًا على أحداث عصفت بالتاريخ العراقي الحديث، وكان لها دور بارز في رسم مستقبله وصورته الخاصة، وذلك من خلال ارتباطه بالواقع السياسي لمدينة النجف الاشرف.

خان الشيلان، هذا الصرح العمراني المميز الذي يتصدر الواجهة المعمارية لمركز المدينة التاريخي بعمارة فريدة، لا ينافسها سوى تصميم وريازَة المرقد العلوي، لما تتميز به

من عناصر جمالية كالمقرنصات التي تزين العقود، والآجر المزجج الذي يُشكل في بعض واجهاته بأشكال هندسية مميزة.

تسميته، وإنشاؤه:

إنّ لفظة الشيلان كلمة تركية قوقازية يراد بها محل أو دار الضيوف. ولها استعمال باللغة الفارسية بمعنى الضيافة، "وهو بناء مرتفع يراد به عند الاطلاق على محل الضيافة كالمضيف الشائع في العراق[٢]".

ويرى الباحثون في الإشارة الى أنّ الشيلان يراد به محل الاصطياف، إذ كان بناءً ضخمًا أو محل أشجار عالية او هواؤه نقي فتستعمل هذه اللفظة[٣].

عُرفت في النجف الأشرف ثلاثة مبانٍ سميت بخان الشيلان، الأول منها كان دار استراحة للعمال الذين شيدوا سور النجف الأخير عام ١٨١١م، ويقع في محلة العمارة بالقرب من مقام الإمام زين العابدين عليه السلام ومجاور الجهة الغربية لمسجد ومرقد أُثيب اليماني (صافي صفا)، بُنيَ بأمر الصدر الأعظم محمد حسين العلاف خارج السور، والذي أزيل بعد التوسعة التي شملت معظم محلة العمارة في عهد النظام السابق[٤].

أما الثاني فقد بُنيَ عام ١٨٣٦م من قبل سادن العتبة العلوية المقدسة الملا يوسف، الذي كان ملاصقاً للصحن العلوي من جهة الشرق، ومجاور للباب الرئيس المقابل للسوق الكبير، وقد أزيل نهائياً بفتح الشارع المحيط بالصحن عام ١٩٤٩م[٥].

خان الشيلان الثالث ذو الجدران العالية مهيب النظرة، الذي يقع في محلة البراق، بداية شارع الخورنق. الذي أنشأه معين التجار، الحاج محمد عبد الرحيم آغا البوشهري، وقد قام بالإشراف على بنائه السيد أحمد الزكي واكتمل بناؤه عام ١٨٩٩م، أي الأيام الأخيرة للدولة العثمانية في العراق؛ ليكون محطة استراحة وإيواء للزائرين الذين يزورون مدينة النجف الأشرف قاصدين مرقد الامام علي عليه السلام ووادي السلام حيث المقبرة المترامية الأطراف.

إلا أنه لم يُستخدم للغرض الذي بُني لأجله، إذ قامت الدولة العثمانية آنذاك بالاستيلاء عليه وتحويله الى مقر خاص بهم، إلى أن قامت ثورة النجف التي أطاحت بالحكم العثماني بالنجف وأدّت الى تأسيس أول حكم وطني في العراق، وبذلك أصبحت النجف أول مدينة تخرج من تحت سيطرة الدولة العثمانية في عام ١٩١٥م، التي دامت سنتين، ليكون مقر هذه الحكومة.

وبعد سيطرة سلطات الاحتلال البريطاني على العراق، سيطر الإنكليز على خان الشيلان عام ١٩١٧م، ليكون المقر الرئيس للحامية البريطانية، وكانوا أيضًا يستغلون كبر مساحة باحته لتدريب الجند فيه، كما أصبح خان الشيلان سجناً للنجفيين الأحرار الذين ناهضوا السياسة الإنجليزية المحتلة، ليبقوا

فيه حتى حادثة مقتل الكابتن مارشال في آذار عام ١٩١٨م وعلى اثر هذه الحادثة انسحبت الحامية من خان الشيلان؛ لتكون هذه الانتفاضة الممهد لثورة عام ١٩٢٠م، وليعود خان الشيلان -للمشهد السياسي خلال مدة الثورة (ثورة العشرين) - كسجن للأسرى الانجليز[٦].

عمارته:

بني الخان على مساحة ٢٥٠٠ متر مربع، بشكل مستطيل، وبارتفاع ١٢ متر تقريباً، وله مدخل واحد من الجهة الغربية وقريب من الزاوية الشمالية الغربية. حيث يمتاز تصميمه المميز اذ يفضي عقد الباب إلى ممر بشكل العقد، هو استمرار للعقد ثم تليه قبة ترتكز على أربعة عقود، مزينة بالمقرنصات المزججة بطابعها الإسلامي المميز المعروف في كل العمارات الإسلامية. ومنها تتفرع إلى مرافق الخان الاخرى. الى يمين الداخل يمتد ممر مبني بطريقة العقود الممتدة لتشكل مساحة البناء للخان التي تمثلت ببناء يحيط ساحة وسطية كبيرة مكون من طابقين وتوجد أربع سلالم للارتقاء الى الطابق الأول. وفيه ايوانان كبيران متقابلان ارتفاعهما بارتفاع البناء مكشوفي الواجهة، تم إغلاقهما بواجهة من الخشب والزجاج بما يتلاءم وطبيعة المتحف.

كما ان للخان ثلاثة سراديب متباينة في المساحة وهي ميزة امتازت بها أغلب بيوت النجف الأشرف القديمة، تم تأهيلها وتنظيفها، واعتماد أحدها ليكون ضمن المسار ليعرف زائري المتحف بهذا التصميم البنائي، الذي تفتقر اليه مبانٍ عصرنا الحالي وبيوته، الذي يمتاز باعتدال درجة الحرارة صيفا وشتاءً ما يوفر حالة من الرفاهية في المساكن.

كما أنه لا بدّ لهذا الصرح المعماري المتكامل من جميع النواحي من أن يحتوي على بئر الماء الذي يرتبط مع قنوات مائية ترتبط أغلب آبار المدينة، التي لعبت دورًا مهمًا في تأريخ المدينة السياسي[٧].

الشيلان متحفاً:

بقرار مهم من الإدارة المحلية في مدينة النجف الأشرف، تقرر تحويل هذا المعلم التراثي، الذي يحمل تاريخًا عريقًا مرتبطًا بالذاكرة النجفية ونضالاتها وثوراتها، إلى متحف، حفاظًا عليه وإعادة توظيفه بما يليق بمكانته وحالته التراثية.

وبعد إعادة تأهيله وإرجاعه إلى حالته الأصلية، عقب ما لحق به من تخريب وسوء استغلال من قِبَل مَن لم يقدِّر قيمته التاريخية والتراثية، حيث بدأ العمل عليه عام ٢٠١٢م كجزء من مشروع النجف عاصمة الثقافة، حيث شملت أعمال التأهيل إزالة الأنقاض المتراكمة، وتنظيف السراديب، وصيانة الأجزاء المتضررة، وترميم ما تهدم منه، بما

يضمن الحفاظ على هويته التراثية.

وقد حُوِّل ليكون متحفًا يحفظ في طياته تراث مدينة ذات تاريخ عريق، يحتاج إلى العديد من المتاحف المتخصصة لاستيعاب القيم التراثية التي تحملها. ورغم ذلك، فقد اقتصر على تقديم صورة عامة عن الجوانب الاجتماعية والسياسية للحياة النجفية، فضلًا عن تسليط الضوء على أبرز الشخصيات النجفية.

كما يضم المتحف مقتنيات تراثية متنوعة، من الأدوات المنزلية القديمة التي انقرض استخدامها ولم نعد نراها، وصولاً إلى الحلي النسائية التي كانت النساء النجفيات يرتدينها.

وخُصِّص الطابق الثاني الجنوبي ليكون مكرّسًا لثورة العشرين، ليصبح بذلك أول مكان في العراق يوثّق واحدة من أهم الثورات التي صنعت تاريخ العراق الحديث والمعاصر. كما يضم الغرف التي سجن فيها الأسرى الإنكليز لمدة ١٢٠ يومًا، حيث تركوا خلفهم كتابات ورسومات ما تزال محفورة على جدران هذه الغرف، شاهدةً على استبسال أجدادنا وتصديهم للمحتلين.

أما الطابق الثاني الشمالي، فقد خُصِّص للوثائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي تتجلى فيها براعة التعبير وأساليب الكتابة، إضافةً إلى صور طبعات الأختام (التي كانت تُنقش على الخواتم)، والتي تُمثِّل جانبًا مهمًا من تاريخ المدينة وهويتها.

وأخيرًا، تميز المتحف بقاعة تحمل اسم "قاعة ثورة العشرين" أو "قاعة البانوراما"، التي تضم لوحة فنية بانورامية تجسِّد ومضات واقعية من أحداث ثورة العشرين، تبدأ من تحرير الشيخ شعلان أبو الجون، مرورًا بمعركة الرارنجية وغيرها من المحطات التاريخية، وصولاً إلى وجود الأسرى في الخان.

وختامًا، فإن أهمية هذه الأماكن لا تكمن في كونها شواهد على الماضي فحسب ، بل في كونها تروي الأحداث التي تشكّل ذاكرتنا الجمعية، وترسم صورًا ناصعة لحاضرنا، ما يعزِّز روح الارتباط بين الفرد والأرض التي يعيش عليها، وتسهم في خلق الهوية الثقافية للأمم.

---

١. موقع المجلس الدولي للمتاحف (ICOM)): (https://icom.museum/en/resources/standards-guidelines/museum-definition/)
٢. الطريحي، محمد كاظم، النجف الاشرف مدينة العلم والعلماء :٤٨.
٣. الجبوري، كامل سلمان، سدانة العتبة العلوية المقدسة، مجلة افاق نجفية، العدد ١٩، السنة الخامسة، ٢٠١٠م:١٨٣.
٤. حرز الدين، محمد علي، مراقد المعارف:٣٨٣.
٥. المظفر، محسن عبد الصاحب، مدينة النجف الاشرف (دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية): ١٣٠.
٦. الحسني، عبد الرزاق، ثورة النجف:٣٥-٣٨.
٧. زيارة ميدانية للمتحف.

The
Museum
of
Holy Najaf
Heritage
&
1920
Revolution
الشاعر
محمد مهد
الجواهري
١٨٩٩ - ١٩٩٧

خروج المختار الثقفي

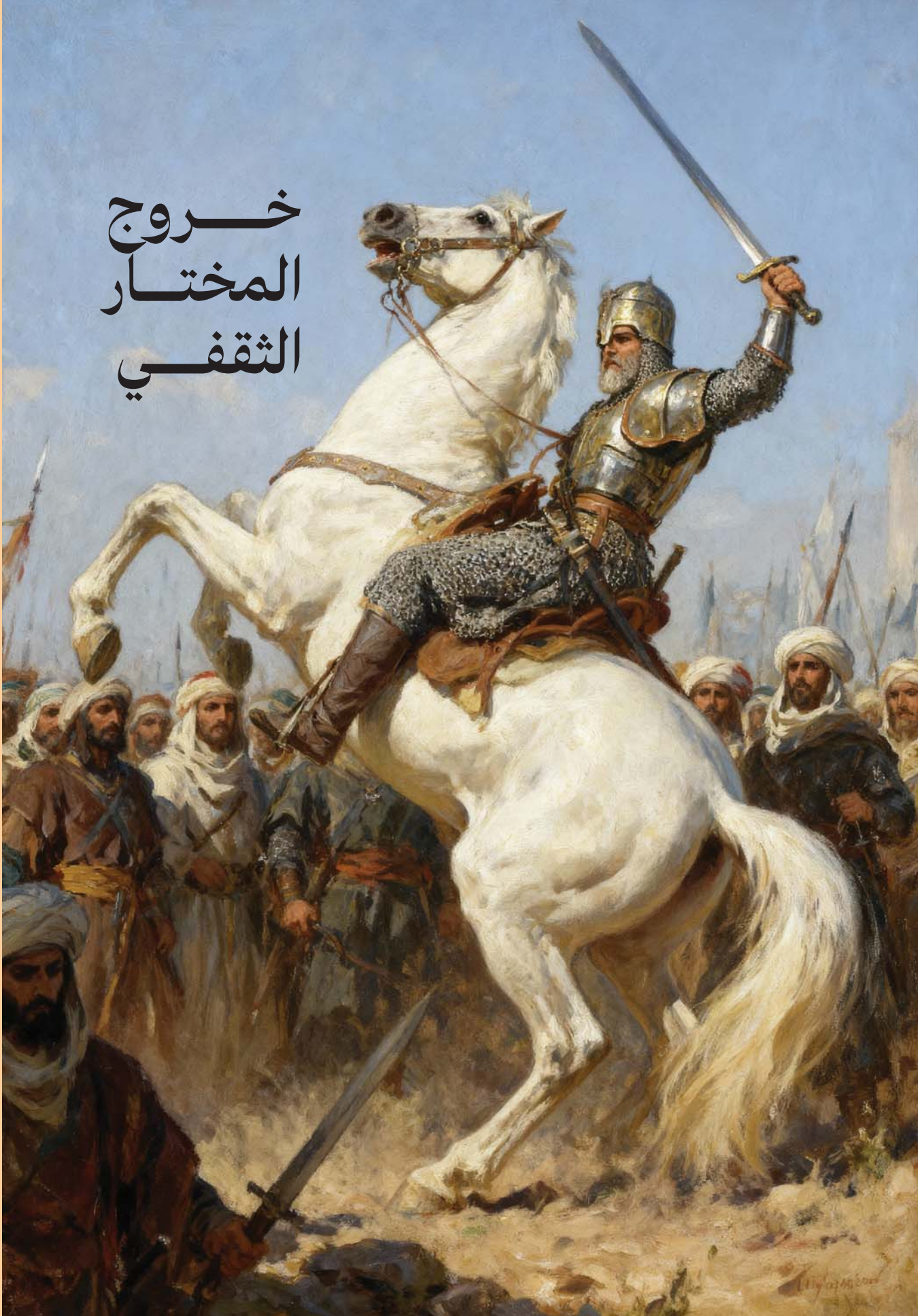

في ليلة الأربعاء ١٥ ربيع الثاني من سنة ٦٦ هجرية ظهر المختار بن عبيد الثقفي بالكوفة، فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله والطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودماء أهل بيت رضي الله عنهم، والدفع عن الضعفاء[١].

وتتبع المختار قتلة الحسين عليه السلام، فقتل منهم خلقاً عظيماً، حتى لم يبقَ منهم كثير أحد، وقتل عمر بن سعد وغيره، وحرق بالنار، وعذّب بأصناف العذاب[٢].

وكان المختار قد خرج يطلب بثأر الحسين عليه السلام، فاجتمع عليه بشر كثير من الشيعة بالكوفة فغلب عليها، وطلب قتلة الحسين فقتلهم، قتل شمر بن ذي الجوشن الذي باشر قتل الحسين عليه السلام، وخولي بن يزيد الذي سار برأسه الى الكوفة، وعمر بن سعد بن ابي وقاص أمير الجيش الذين حاربوا الحسين عليه السلام حتى قتلوه، وقتل ولده حفصاً، وارسل ابراهيم بن الاشتر في عسكر كثيف فلقي عبيد الله بن زياد الذي كان جهّز الجيش الى الحسين عليه السلام فحاربوه فقتل عبيد الله بن زياد في تلك الواقعة[٣].

وبعث المختار برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس غيره ممن قتلهم إلى محمد بن الحنفية بمكة وعلي بن الحسين عليه السلام يومئذ بمكة وكتب معهم : (امّا بعد، فإني بعثت أنصارك وشيعتك إلى عدوك يطلبونه بدم أخيك المظلوم الشهيد، فخرجوا محتسبين محنقين آسفين، فلقوهم دون نصيبين فقتلهم رب العباد، والحمد لله رب العالمين الذي طلب لكم الثأر...)[٤].

وقد روي في الخبر أحاديث عديدة تتناول المختار الثقفي، فعن الأصبغ بن نباتة قال : رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح برأسه ويقول :(يا كيّس يا كيّس)[٥].

كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث الينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين صلوات الله عليه)، وفي حديث آخر أن علي بن الحسين عليه السلام لما اتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد خرّ ساجدا وقال (الحمد لله الذي ادرك ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً[٦].

وعن عبد الله بن شريك قال : دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ، وقال :أرسل إلى الحلاّق، فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة، فتناول يده ليقبّلها فمنعه، ثم قال: مَن أنت؟ قال أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن عبيد الثقفي، وكان متباعدًا من أبي جعفر عليه السلام فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده.

ثم قال: أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك . قال عليه السلام وأي شيء يقولون؟ قال يقولون كذّاب ولا تأمرني بشيء إلا قبلته. فقال عليه السلام : سبحان الله، أخبرني أبي والله أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أوَلم يبن دورنا؟ وقتل قاتلينا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله[٧].

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٤٠.
(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢/ ٢٥٩.
(٣) الإصابة : ٦/ ٢٧٧.
(٤) بحار الأنوار :٤٥/ ٣٥٥.
(٥) اختيار معرفة الرجال : ١/ ٣٤١.
(٦) بحار الأنوار : ٤٥/ ٣٤٤.
(٧) اختيار معرفة الرجال : ٤٣/ ٢٠١.

حوار العدد

- حوار مع:
  المخرج المسرحي البحريني الدكتور
  عباس حسن القصاب

حاوره: رياض الخزرجي

في حواره مع مجلة الولاية:
المخرج المسرحي البحريني الدكتور عباس حسن القصـــاب:

المـسرح هـو أحـد أهـم الروافـد الثقافيـة بكل مـا تعنيـه كلمة الثقافـة مـن معـنى، في شـؤون الحيـاة كافة

حاوره: رياض الخزرجي

لا يخفـــى عـــلى أحـــد ما للمـــسرح من دورٍ مهـــم في حياة المجتمعـــات والأمم ومنذ القدم، وظيفته نقل بعـــض القصص التاريخية القديمة ســـواء الحقيقية أو الأســـطورية لبيان ثقافة هـــذه الأمة وحضارتهـــا أو تلك، فنجد في الأدب الإنجليـــزي انتـــشر أدب المـــسرح وحيكـــت مئـــات المسرحيات عـــلى أيدي كبـــار الأدباء والشـــعراء، وقـــد خلدت هذه المسرحيـــات كثيرًا من الشـــخصيات التاريخية والعلمية وكذلـــك كانت هـــذه المسرحيات وســـيلة لنقل الثقافـــة للمجتمعـــات الحالية والقـــادمة.

من هـــذا المنطلق كان لنا لقـــاء مع المخرج البحرينـــي الدكتور عباس القصاب ليســـلط الضـــوء على أهـــم فوائد ومعطيـــات المسرح العالمي، وبيان القضية الحســـينية وتجســـيدها وبيـــان عظمتها مـــن خلال المسرحيـــة التي أقامتهـــا شـــعبة الثقافة الإســـلامية أحدى

شـــعب قســـم الشـــؤون الفكرية والثقافية في العتبـــة العلوية المقدســـة، فكان لنا هـــذا الحوار معـــه :

البطاقة الشخصية؟

الدكتور عباس حســـن القصـــاب من مملكة البحريـــن، خريج أكاديمية الفنـــون، حاصل على درجة الدكتـــوراه من المعهد العـــالي للنقد الفني تخصص نقـــد أدبي، دكتوراه مـــع مرتبة الشرف.

كما تعلمون دكتـــور مصادر المعرفـــة متعدّدة لبناء أو ترقية المســـتوى الثقـــافي لأي مجتمع ، هل نســـتطيع أن نعد المسرح مصـــدراً فنيـــاً معرفياً لبناء مجتمـع مثقـف؟

أكيـــد عندما نريـــد أن نتحدث عـــن مصادر المعرفـــة وكذلـــك مصـــادر التعلـــم لا نقتصر على المكتبـــة والمؤلفـــات، أو مراكـــز البحوث والدراســـات، ولكن هنـــاك المـــسرح باعتباره رافـــداً ثقافياً مهماً، بما يقدم مـــن رؤى وتطلعات، لا تقتصر على الوجـــدان بل تقـــدم الفكر أيضاً كما شـــاهدنا مسرحيـــة اليوم فهي تعطـــي فكراً وتعطـــي رؤى فكرية وفلســـفية، كما تقـــدم زاداً معرفياً إلى المتلقي حاله حـــال أي كتاب أو بحث أو دراســـة، فالمـــسرح هـــو أحد أهـــم الروافد الثقافية بكل مـــا تعنيه كلمة الثقافـــة من معنى، في شـــؤون الحياة كافة .

هناك التلفاز والســـينما والمـــسرح، ومن دون تحيّـــز لأنكم متخصصون في المـــسرح ،ولكن أيهما برأيـــك أكثر تأثـــيراً لإعطاء جرعـــة للمجتمع بأي نـــوع من أنـــواع الثقافة؟

أنـــا متخصص كذلـــك في الدرامـــا، ولكن للمـــسرح خصوصية كونـــه يقدم الصـــورة إلى المتلقي بشـــكل مباشر ومـــن دون رتوش، حيث أنّ المتلقـــي يـــرى الممثـــل بحجمـــه الطبيعي، في حين نجـــد أنّ الســـينما تعطي حجـــمًا كبيرًا للممثـــل، حيث تبتعـــد عن الواقعيـــة، وهكذا المسلســـل حيث يعطـــي حجماً صغـــيرًا للممثل وليـــس حجمـــه الطبيعي، في حـــين أن المسرح يعطي الحجـــم الطبيعي للممثل، هـــذا من جهة ومن جهة أخرى، فـــإنّ في الســـينما والتلفزيون المخرج هـــو الذي يوجـــه المتلقي حيث يشـــاء وإلى أي زاويـــة يريـــد، في حين المـــسرح يجلس المتلقـــي ليشـــاهد جميـــع زوايا المـــسرح ليجد أمامه الصـــورة واضحة، لذا نجـــد تأثير المسرح عـــلى المتلقي بشـــكل مبـــاشر أكثر من الســـينما أو التلفزيـــون، وبنـــاءً على ذلـــك فالمسرح هو المبـــاشرة والواقعيـــة التـــي تخلو مـــن الرتوش والإضافـــات، كذلك فالمتلقـــي في المسرح يعيش التجربة الآنيـــة والواقعية بـــكلّ تفاصيلها، بينما الســـينما تعطيك المشهد الســـابق الذي مثل ربما قبل أشـــهر أو ســـنوات، ففـــي التلفزيون أنت تشـــاهد أحداثاً ســـابقة الوقوع بينـــما في المسرح أنـــت تشـــاهد أحداثـــا حالية تحدث بشـــكل مباشر، هنا الفـــرق الكبير بين المادتـــين؛ لذا فإنّ

الإقناع يكـــون بالحدث المباشر وليس بالســـابق.

ثورة الإمام الحســـين أو نهضته عليه السلام هي نهضة عالمية منذ استشـــهاده، كما كانت قيـــادة النهضة الإعلاميـــة والامتـــداد الطبيعي لها هي الســـيدة زينـــب والإمام زيـــن العابديـــن عليهما السلام، فمنذ هذه الســـنين الطـــوال واليوم مع تطـــور المسرح مـــع تطـــور الدراما، كيـــف نســـتطيع أن ننقل مضامين هـــذه الثورة إلى الجمهـــور وعلى مختلف مستو يا تهم ؟

عظيم جـــداً طبعـــاً عندمـــا نـــزور الإمام الحســـين عليه السلام ونقول "مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتهـــا في الإســـلام" فهي رزية كونيـــة كما جاء في الزيارة كذلـــك "وَجَلَّتْ وَعَظُمَـــتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّـــماواتِ عَلى جَمِيعِ أَهْلِ السَّـــماواتِ" فهي المصيبة الكونيـــة الأولى فإنّ هـــذه الزيارة تنصُّ على هـــذا المعنى، وقـــد خرجت الســـيدة زينب مـــع الإمـــام الحســـين عليهما السلام لتـــؤدي دورها الرســـالي في بيان حقيقـــة هـــذه الفاجعة، فهي لم تخـــرج لرحلة ســـياحية بل كان لهـــا دور كبير في بيـــان الحقائق، وهكـــذا المـــسرح فهو عمل ورســـالة إعلامية لبيان هذه الحقيقـــة العظيمة، حيث يوصل هذه الرســـالة الإعلامية والدرامية إلى جميـــع أفـــراد العـــالم، وكانت لدي دراســـة نُـــشرت ولكن لم تنتشر بشـــكل كبـــير عنوانها: "المسرح الحســـيني بين التقليـــد والتجديد" بدأت هذه الدراســـة بتســـليط الضوء على التشـــابيه فالتشـــابيه تقدم رســـالة كبيرة إذا كانت ملتزمة بالحـــدود المطلوبة.

هل التشـــابيه التي نشـــاهدها اليوم يمكن أن تكـــون زاوية مـــن زوايا المسرح؟

في الواقـــع التشـــابيه هـــي أول مسرح عربي إســـلامي على الإطلاق، باعتراف جميـــع النقاد فلـــم يكن هنـــاك عمـــل مسرحي تمثيـــلي قبل التشـــابيه، فعندما بدأ في عصر الدولـــة البويهية، فهنـــاك مشـــاهد كثيرة تـــدلُّ على أنّ التشـــابيه هو عمل مسرحـــي واضح ومتكامـــل الأركان، ومتكامـــل العنـــاصر مـــن حيث وجـــود ممثل ومتلـــقٍ ونص، ولكـــن ربما خرجت التشـــابيه في الآونـــة الأخيرة عـــن المســـار الصحيح عند البعـــض لا الـــكل، ولكن عنـــد الكثـــير تُعدُّ التشـــابيه عملاً مسرحيـــاً متكاملاً يقـــدم مادة مسرحية ذات مضمون ورســـالة مؤثـــرة أيضاً، طبعاً تطورت التشـــابيه مـــن مراحلها الأولى إلى ما وصلنـــا إليه مـــن عمل مسرحـــي حديث، وكما شـــاهدنا اليـــوم في هذا العـــرض المسرحي الجميل، عندمـــا رأينا أنّ المخـــرج لهذه المسرحية واشج بين الســـينما والمؤثرات الصوتية، كل هذه الأمور مزجها في مسرح حديـــث يتناول القضية الحســـينية، لذا فنحنُ بصراحـــة بحاجة إلى وعي عند المخـــرج والفنانين لتقديم الحســـين عليه السلام إلى العـــالم على مختلـــف أديانه ومشـــاربه، وهذا أمرٌ مهـــمٌ جـــداً.

كما تعلمون دكتور أنّ قضية الحســـين عليه السلام فيها مســـاران مســـارٌ فكري ثقافي إصلاحي ومسارٌ عاطفـــي مســـار الدمعـــة والحـــزن والوجدان، برأيكم أيُّ المســـارين أهم لنقدمـــه على المسرح؟

طبعاً لا بد من وجود تلازم بين المسارين الفكري والعاطفي في القضية الحسينية، في المسرح الحسيني ولكن يجب أن لا يطغى الجانب العاطفي على الجانب الفكري وخصوصاً في أيام غير محرم وصفر وخصوصاً في أيام الأربعين، لأننا بحاجة في هذه الأيام إلى الدمعة والألم والأسى على الحسين عليه السلام، ولكن في الأيام الاعتيادية لسنا بحاجة كثيراً إلى ما يسمى بالـ "الميلو دراما" نحتاج إلى الجانب الفكري في قضية الحسين عليه السلام، وبالتأكيد يجب أن لا يختفي اسم الحسين من العمل المسرحي، لذا يجب أن نطعّم المسرح بالفكر الحسيني ولو بالإطار العام، وعلى سبيل المثال لو أردت أن أناقش مسألة العبودية طبعاً النص هو العامل المحفز لهذا العمل المسرحي، بمعنى أن أتناول موضوعة العبودية وآتي بأنموذج حسيني دالّ بشكل واضح على أمر العبودية، عند ذاك ستخرج بعمل مسرحي حسيني جميل، ولكن إذا أردت أن أوظف المسرح لقضية العبودية من دون ذكر نهضة الإمام الحسين عليه السلام فهذا ليس مسرحاً حسينياً، فلا بد من توظيف موقف الحسين عليه السلام مع أي مفهوم من المفاهيم الفكرية المهمة، والحسين عليه السلام قد مثّل جميع الجوانب العقدية والأخلاقية في قضيته، فأينما تبحث في قضية الحسين عليه السلام تجد هناك صورة تخرج لك من كربلاء.

لفت نظري مشهدٌ جميل نُقل من مدينة لندن في أيام محرم حيث تخرج بعض المواكب ويمارسون هذه الشعيرة حسب المعتاد يحملون الرايات واللافتات المسطر عليها بعض العبارات الحسينية، حيث كان المشهد عبارة عن امرأة كبيرة تشاهد هذه المسيرة وهي تبكي بكاءً مراً، فما الذي أبكى هذه المرأة؟

أبكاها المظهر والمنظر المأساوي لواقعة الطف، وهناك تأثير للعبارات المكتوبة، التي تحمل مضامين عاشورائية كبيرة، وبجانب هذه الكلمات العاشورائية هناك كلمات وعبارات توعوية مهمة لكل إنسان يتعلمها من فكر الإمام الحسين عليه السلام، وعلى سبيل المثال عندما نقرأ عبارة: "إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي" فعندما تترجم هذه العبارة لا شك تأخذ موقعها في قلوب الناس، حيث تحاكي هذه العبارات إنسانية الإنسان أينما حلّ ومن أي طائفة كان، فهي تدغدغ المشاعر الإنسانية، وكذلك عندما يشاهد أي إنسان وإن كان بعيداً دينياً أو عقدياً عن الحسين عليه السلام يشاهد مثلاً صورة للطفل الرضيع وقد ذُبِح من الوريد إلى الوريد، فهذه الصورة وأمثالها تبكي الحجر فضلاً عن الإنسان الرقيق، بشرط أن تكون هذه الصورة وأشباهها متقنة وتوصل المعنى بأجلى صوره ومعانيه، وحتى الكثير من العلماء والمراجع يؤكدون على أن تكون هناك جودة في العمل الدرامي الحسيني، حيث نستطيع أن نستقطب الجانب الإيجابي من المتلقي ونترك بعض الجوانب السلبية التي ربما تنفّر المتلقي من مشاهدة

بعض المشـــاهد التي لا تليق بالنهضة الحســـينية، لذلك نحـــن بحاجة اليوم إلى مخـــرج واعٍ يعتمد على الروايـــات التاريخية الصحيحـــة والمتواترة.

هنـــاك هجمة ثقافيـــة كبيرة على المســـلمين ســـيما على التشيع ، كيف نســـتطيع أن نبارز ونرد هذا الكيـــد الذي يكيده الأعداء للمســـلمين من خلال المـــسرح كلٌ حســـب اختصاصـــه وفنّه، فربما الكثـــير في العالم لا يعلمون حقيقة الحســـين وحقيقة التشيـــع؟

أولاً لا بد من وجـــود المتخصّصين في المسرح الحســـيني، حتى يســـتطيع أن يأتي بمسرح يعتمد عـــلى الأكاديميـــة لتقديـــم المـــسرح المتكامل الـــذي يعتمد عـــلى الوعي الفكري والفلســـفي والتاريخـــي والأكاديمـــي والفنـــي، وعندمـــا تجتمع هـــذه الجوانـــب كافة في عمـــل مسرحيّ واحـــد ســـيكون هذا العمـــل مقنعـــاً للمتلقي حتـــى وإن كان من غـــير المذهب الشـــيعي أو من غـــير الديانـــة الإســـلامية؛ لأنّـــه نابع عن وعي في جميع هـــذه الأمور المذكـــورة، وكذلك يجـــب أن تكـــون هناك تقنيـــة دقيقة كوســـيلة حديثـــة لإظهار المسرحيـــة بحلة تقنيـــة يتقبلها الجمهـــور بكلّ أريحيـــة، حيث تقدم لنـــا عملية الدوبلاج والترجمـــة إلى لغات أخـــرى، وعندما يراهـــا الأجنبي غير المســـلم وهـــي متكاملة من جميع الجوانـــب بالتأكيـــد ســـيتأثر بمضامينها، وكذلك نحتـــاج إلى الكلمة والنـــص المميز وإلى التمثيل المميـــز والإخراج الدقيـــق والمحترف،

فـــإذا اكتملت جميـــع هذه الجوانـــب في العرض المسرحي الحســـيني لا شك ســـنوصل الصورة بشـــكل أكثر وضوحاً وتأثـــيراً في المتلقي.

كلمة أخيرة دكتور لكادر مجلة الولاية:

أنـــا أقدم شـــكري الجزيـــل لمجلـــة الولاية عـــلى ما تقـــوم به مـــن دور ثقافي كبـــير في نشر علـــوم أهل البيـــت عليهم السلام، والدفاع عـــن العقيدة الإســـلامية الحقة، وهذا هو أملنـــا دائماً في أهل العراق، أهـــل الثقافة والفكـــر والأدب، والفن، والغيرة على المذهـــب، لذا أنا أحيـــي فيهم هذه الـــروح المعطاء، وهذا العمل الكبـــير والمتقن، في عالم الفكـــر والمعرفة.

تراث الخزانة العلوية

- فنّ الترميم بين الماضي والحاضر
  من الحدس إلى المنهج العلمي في
  صيانة المخطوطات

الباحث : حسين نجم الشيباني
العتبة العلوية المقدسة

فن الترميم بين الماضي والحاضر
من الحدس إلى المنهج العلمي في صيانة المخطوطات

الباحث : حسين نجم الشيباني
العتبة العلوية المقدسة

ترميم الآثار هي مجموعة المعالجات والمداخلات التي تطبق على قطعة ما من أجل استعادة حالة تاريخية معينة، فضلًا عن كونه يحسن قابلية قراءة الكتابات والرسومات والنقوش على القطعة ويسهم في استعادة جمالياتها .

تُعدّ الحقبة الصفوية (١٥٠١-١٧٣٦م) علامة فارقة في تاريخ الفن الإسلامي، لاسيما في مجال صناعة المخطوطات والكتب، تميزت هذه الحقبة بتطور هائل في فنّ التجليد والزخرفة والتذهيب إضافة إلى مهارة فائقة للعاملين في هذا المجال، إن جمال المخطوطات الصفوية يعكس ذروة الإبداع الفني الذي يجمع بين الدقة والروعة في التفاصيل، ما جعلها محط اهتمام الباحثين والمؤرخين الفنيين.

نتناول اليوم قصة صيانة غلاف مخطوطة فريدة تعود إلى هذه الحقبة الثرية.

وصف الغلاف وحالته الأولية:

الغلاف الذي نتحدث عنه هو بمثابة قطعة فنية بحد ذاتها، إذ يكشف عن براعة ترميم سابقة قام به حرفي ماهر في زمن ندر فيه مثل هذا العمل، عند اكتشافه كان هذا الغلاف متضررًا إلى حد التلف، ولكن بعد إجراء الصيانة الوقائية الأولية له تبين أنه خضع لعملية ترميم دقيقة بطريقة فريدة وغير تقليدية في الزمن الذي برع فيه الفنان في الحقبة الصفوية أو القاجارية، إلا أنّه لم يصل لنا من تلك الحقبة والتي سبقتها بمثل هذا المستوى من الحرفية في الترميم.

أظهرت الفحوصات أن الحِرَفي قام بدمج أربعة أجزاء من أغلفة مختلفة تمامًا في الشكل والتصميم والقياس، ولكنه ربطها بمهارة فائقة لتكوّن غلافًا واحدًا متكاملًا. هذه الأجزاء رغم اختلاف زخارفها وأنماطها (بعضها قد يكون بالجانب الأيمن من الغلاف، والآخر من الجانب الأيسر، وأجزاء علوية وسفلية من غلاف ثالث)، تعود كلها إلى الحقبة الزمنية نفسها تقريبًا، وهي الحقبة الصفوية. لقد استطاع هذا المجلِّد أو المرمِّم أن ينسق بين هذه القطع الأربع بذكاء فني، موظّفًا ذوقه لإخفاء الفروق وإنتاج غلاف واحد متناسق بصريًا.

من الملاحظات المهمة التي كشف عنها الفحص، أن المرمم القديم قام بإخفاء بعض الأجزاء من الزخرفة الأصلية للقطع المكونة للغلاف من الجانب المقابل للكعب (المفصل) لإتمام عملية التأطير، أي رسم الإطارات حول الزخرفة الظاهرة.

مراحل عملية الصيانة الحديثة:

بعد الاطلاع على هذه التفاصيل المعقدة، بدأت عملية التعامل مع هذا الغلاف بعناية فائقة، واتبعت الخطوات الآتية:

إزالة الإضافات السابقة: كانت الخطوة الأولى هي رفع بعض الإضافات التي قام بها المرمم السابق، لاسيما تلك التي أخفت الزخرفة الأصلية لأحد الأجزاء المكونة للغلاف، وكان الهدف إعادة الزخارف المخفية إلى وضعها الطبيعي والكشف عن جمالها الأصيل.

التعقيم والتدعيم الأولي: تمت عملية تعقيم الغلاف باستخدام الكحول (الإيثانول) لضمان القضاء على أية كائنات دقيقة قد تضرب المادة. بعد ذلك، تم تدعيم الأجزاء القابلة للسقوط في أثناء عملية الصيانة، لاسيما الأجزاء المذهبة، باستخدام مواد خاصة ومثبتات لتقويتها.

تدعيم لوح الغلاف الداخلي: بعد الانتهاء من تدعيم الأجزاء السطحية جرى تدعيم لوح الغلاف من الداخل، هذه الخطوة حاسمة لضمان استقرار الغلاف وسلامته ككل.

تعويض الأجزاء المفقودة: تم الشروع في عملية تعويض الأجزاء التي فقدها الغلاف، سواء من وجه الغلاف أم ظهره. استعملت المواد الأصلية نفسها التي صُنع منها الغلاف سابقًا قدر الإمكان لضمان الانسجام البصري والتاريخي.

إعادة الزخرفة والتذهيب: بعد الانتهاء من عملية التعويض، بدأت المرحلة الفنية الدقيقة، تم تصنيع قوالب خاصة بالزخرفة لإعادة تكملة الزخارف الناقصة والمتضررة، بعد ذلك تمت عملية طلاء الأجزاء المرممة وتذهيبها، مع الحرص على مطابقة الألوان والتقنيات الأصلية قدر الإمكان، لضمان استعادة رونق الغلاف الأصلي.

الخاتمة:

إن صيانة هذا الغلاف لا تقتصر على مجرد ترميم مادي، بل هي عملية اكتشاف وإحياء لتاريخ فني فريد، لقد كشفت هذه العملية عن براعة المجلّدِ في ذلك الزمن في تجميع هذه الأجزاء المتفرقة لتشكيل غلاف واحد، ما يبرز مهارته في التنسيق والتأطير رغم اختلاف الأنماط الزخرفية. هذا العمل أسهم في الحفاظ على هذا التراث الثمين وإبراز جوانب غير معروفة من فن التجليد الإسلامي، ويقدم مثالاً مذهلًا للإبداع البشري عبر العصور.

مخطوطات وكتب نفيسة في الخزانة العلوية

العنوان: الأمد على الأبد

تأليف: أبي الحسن محمّد بن أبي ذرّ يوسف العامري النيسابوري (٣٨١هـ).

الناسخ: ركن الدين محمّد بن علي الجرجاني الحلّي الغروي.

تاريخ النسخ: يوم السبت ١٩ محرّم سنة ٧٢٠ هـ.

مواصفات النسخة:

كتاب في الفلسفة ونسخته نفيسة جدّاً، كُتبت في النجف الأشرف، فقد كتب الناسخ ذيل الإنهاء: (الملتجي إلى الحرم العلوي)، وكتب على وجه الورقة الأولى عنوان الكتاب ومؤلفه بما نصّه: «كتاب الأمد على الأبد من تصانيف الشيخ العالم العارف أبي الحسن العامري رضي الله عنه وأرضاه»، وعليها أيضاً ثلاثة أبيات شعريّة عن ابن سينا بخطّ الجرجاني؛ وهي هذه:

جواهر العلم في بحر العقول

.... فيه عليها توقّاها من اللجج

أجسامنا كالمشاكي والقلوب بها

مثل الزجاج ونور العقل كالسُّرج

فتّش تجد كلّ شيء فيك مجتمعا

إنّ ابن آدم أعطى أفضل الدرج

وعلى وجه الورقة الأولى وقفيّة ورثة السيّد جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني على الخزانة الغرويّة، في ١٠ شهر شعبان من سنة ٨١٠ هـ.

وثيقة مهمّة في تاريخ النجف الأشرف وحصار الروم لها
بخطّ العالم الفقيه المحدِّث السيّد شرف الدين عليّ الشولستانيّ النجفي في سنة ١٠٥٢ هـ.

يُعدّ حصار الروم (العثمانيين) لمدينة النجف الأشرف في القرن الحادي عشر الهجري واحداً من الأحداث البارزة في تاريخ المدينة، إذ عانت النجف من ظروف صعبة نتيجة هذا الحصار، الذي كان جزءاً من الصراعات الإقليمية السياسية في تلك الحقبة، ولم يكن الحصار مجرّد مواجهة عسكرية فحسب، بل أثّر أيضاً في الأوضاع الاجتماعية والعلمية للمدينة، التي كانت مركزاً علمياً ودينياً مهماً للشيعة.

وقد دفعت هذه الظروف عديدًا من السكان إلى مغادرة مدينة النجف الأشرف، ومنهم السيد شرف الدين علي الشولستاني، الذي وثّق هذه الحادثة في إحدى إجازاته، مسجّلاً معاناته وشهادته على تلك الحقبة العصيبة، وقد أشار فيها إلى بعض معاناته وسفره من مدينة النجف إلى شيراز، هرباً من تهديد الحصار وخوفاً على حياته.

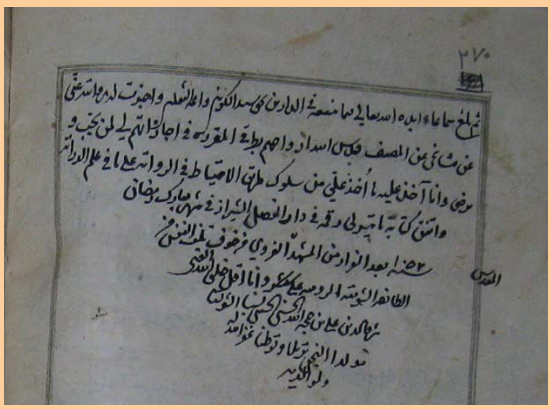

كتب رحمه الله في إحدى إجازاته ما نصّه:

«ثمّ بلغ سماعاً ـ أيّده الله تعالى فيما ينتفعه في الدارين، بحقّ سيّد الكونين وأئمّة الثقلين ـ. وأجزتُ له روايته عنّي، عن مشايخي، عن المصنّف ـ قدّس الله أرواحهم ـ بطرقي المقرّرة في إجازاتهم لي، لمن يحبّ ويرضى، وأنا آخذ عليه ما أُخذ عليَّ من سلوك طريق الاحتياط في الرواية على ما في علم الدراية.

واتّفق كتابة ما تيسّر لي رقمه في دار الفضل الشيرازي في شهر رمضان المبارك سنة ١٠٥٢ هـ، بعد الفرار من المشهد المقدّس الغرويّ، من خوف تلف النفس من الطائفة الشومية الرومية.

وأنا أقلّ خلق الله الغني شرف الدين علي بن حجّة الله الحسينيّ الحسينيّ نسباً، الشولستانيّ مولداً، النجفيّ نزيلاً وتوطّناً ـ غفر الله له ولوالديه ـ».

لاذوا بالجوار

- السيد محمد سعيد الحبوبي..
  قائـــــدًا وأديـــــبًا

السيد محمد سعيد الحبوبي.. قائدًا وأديبًا

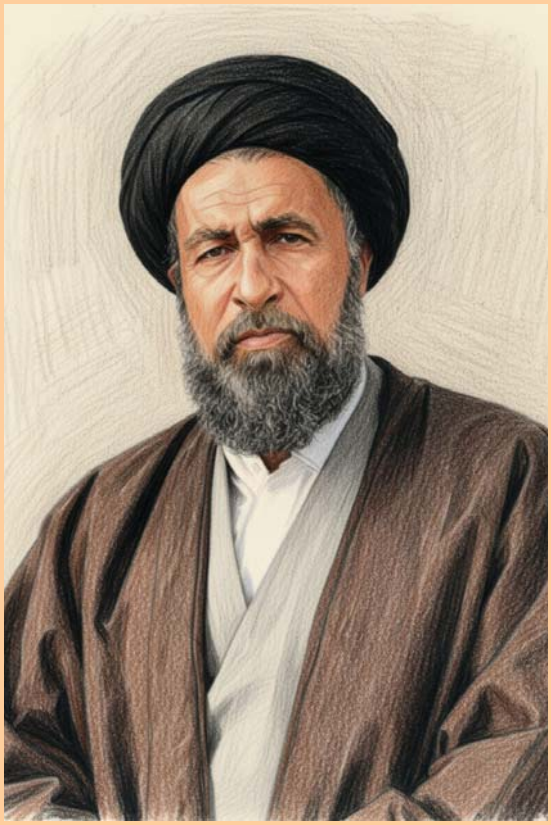

المجاهد والأديب الشاعر والفقيه السيد أبو علي محمد سعيد مصطفى الحبوبي النجفي، ولد في مدينة النجف الأشرف في الرابع عشر من شهر جمادي الآخرة سنة (١٢٦٦هـ) على يد والده، وقد جاء في كتاب معارف الرجال (عالم عامل فقيه ثقة أمين مجاهد، أديب شاعر محلق صاحب الموشحات الشهيرة، عاصرناه زمناً طويلاً...).

نشأ على حب الأدب، قرض الشعر شاباً، وقد برع به وأكثر وشهد له فطاحل شعراء العراق، وذاع صيته في الدول العربية، يعد من الشعراء الذين قالوا الشعر لأجل الشعر حسن الانتقاء ذو ذوق رفيع وشفافية

اسمه ونسبه:

هو المجاهد والأديب والشاعر والفقيه السيد محمد سعيد بن محمود بن قاسم بن كاظم بن حسين بن مصطفى الحبوبي النجفي.

ينتسب السيد محمد سعيد الحبوبي إلى أسرة الحبوبي وهي أسرة عريقة، عربية الأصل، يرتبط نسبه بالحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام، وهي من الأسر الشهيرة التي سكنت مدينة النجف الأشرف، وكانت أسرته تسكن في محلة الحويش من أحياء النجف القديمة، وبرز منها رجال علم وأدب.

ولادته ونشأته:

ولد السيد في الرابع من عشر من جمادى الآخرة سنة ١٢٦٦هـ، الموافق لليوم العشرين من شهر شباط سنة ١٨٤٩م، في مدينة النجف الاشرف، سماه أبوه محمد سعيد، وهو الابن البكر، نشأ وترعرع في مدينة النجف وفيها تلقى دروسه، فطفولته أمضاها في كنف والده وعندما بلغ سنّ التعلم درس القراءة والخط، وبدأ بقراءة القرآن الكريم، وكان والده يشرف على مسيرته التعليمية، وعندما تجاوز سن العاشرة درس مبادئ الأدب وعلوم العربية، ولازمه خاله عباس الأعسم حتى بعد تجاوزه عهد التلمذة.

هجرته:

هاجر السيد الحبوبي مع والده من النجف الأشرف الأشرف إلى حائل في سنة ١٨٦٣ بقصد

المتاجرة وفيها انصرف إلى العمل مع والده، وفي وقت فراغه مارس الفروسية والرماية، بقي في حائل ثلاث سنين، منحته هذه المدة معاني الفتوة العربية من فروسية ورماية وبسالة.

العودة إلى النجف:

ولتعلقه بمدينة العلم والعلماء النجف الأشرف التي تشرفت بضمها للجسد الطاهر جسد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ما جعله يترك حائل ويعود إلى النجف سنة ١٨٦٧، لينهل منها العلم والمعرفة، وهو دون العشرين من العمر، وبدأ حضور دروس العلماء، وأيضًا بدأت مناظراته ومحاوراته..

الأديب والشاعر:

نشأ الحبوبي على حُب الأدب، قرض الشعر شاباً وقد برع به وأكثر، وشهد له فطاحل شعراء العراق وذاع صيته في الدول العربية، إذ يُعدُّ من الشعراء الذين قالوا الشعر لأجل الشعر، كانت الألوان هي الألفاظ لديه يحسن اختيار جميلها، والأشكال هي المعاني إذ جاء بأجودها، حسن الانتقاء ذو ذوق رفيع وشفافية، نظم في الغرض الذي يغذي روح الشاعر، وقد برع في الغزل الموشح وغير الموشح.

له ديوان شعري مطبوع ضم شعره الذي امتاز بالمتانة والرقة، وحسن الأسلوب واشتهر بقصائده الغزلية وموشحاته، إذ كان مجدداً للشعر في عصره.

والقارئ لديوان الحبوبي يجد أن أغلب قصائد الديوان تصب في مصب الغزل والنسيب، وقد أبدع الحبوبي في هذا الباب أيما إبداع ، إذ فاق شعراء عصره في هذا الباب، فكانت ألفاظه وأساليبه فيها كثير من الأصالة والجودة والرقة والعذوبة، ولا يخفى أن الشاعر يطرق في شعره جميع الأغراض، إذ إن الذي ساد أغلب القصائد في الشعر العربي القديم هو المقدمة الغزلية، وكان السيد الحبوبي مجددًا للشعر في عصره.

جاء في شعراء الغري: (والحبوبي شخصية ذات تاريخ واسع وحياة مليئة بالصور والخواطر، فقد كان (قدس سره) إنسانًا لم يفهم غير الحق هدفًا أسمى، ولا غير الدين ناموسًا، ولا غير الفضيلة نهجا).

وفي سن الأربعين من عمره ترك الشعر وانصب جل اهتمامه في دراسة الفقه والأصول، ومستقلاً بالبحث والتدريس، حتى صار من كبار الفقهاء والمجتهدين وأعلام التقوى والصلاح، وكانت له الصدارة بين المجتهدين ومن مشاهيرهم، اعتمدت عليه الخاصة ووثقت العامة فيه، وقد جاء في كتاب معارف الرجال (عالم عامل فقيه ثقة أمين مجاهد، أديب شاعر محلق صاحب الموشحات الشهيرة، عاصرناه زمنا طويلاً ...) .

أساتيذه:

تتلمذ السيد في الفقه والأصول على الميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد حسين الكاظمي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمد الشرابياني، وعلى الأغا رضا الهمداني، وقرأ العلوم الأخلاقية والعرفان على الآخوند ملا حسين الهمداني، وتخرج على جماعة من أهل الفضل منهم الشيخ عباس الأعسم الذي لازمه كثيرًا.

كان للسيد رحمه الله تعالى مجالس أدبية ومحاضرات ومناظراتٌ، وله جلسة معروفة حافلة بأهل الفضل و العلم في سطح قبة اليماني بمقبرة الصفا بالنجف الأشرف.

السيد المجاهد:

كان السيد الحبوبي قدس سره رجلاً عالماً، وأديباً بارعاً، ومجاهداً ضدّ المحتلّين الإنجليز، إذ إنّ تاريخ الحرب العالمية الأُولى خصّص صفحة مشرقة لجهاد السيّد الحبّوبي، وأفرد فصلاً لبطولته وعزمه الملتهب في

حفظ كيان الإسلام والمسلمين، فقد أعلن الجهاد ضدّ الاستعمار الإنجليزي في محرّم ١٣٣٣هـ، وخرج هو بنفسه رغم كبر سنّه، والتحقت به الجموع المحتشدة من المؤمنين، ومعظم عشائر الجنوب العراقي والأكراد، وسار بهم إلى منطقة الشعيبة التي يوجد فيها الإنجليز، وقاتل المحتلّين الإنجليز في معركة الشعيبة، إلّا أنّ تفوّق الإنجليز بالسلاح أجبر المقاومين على الانسحاب بعد أن قدّموا تضحيات جسيمة من الشهداء.

وبعد أشهر اتّصل به القادة الأتراك وطلبوا منه رسم خطّة لإعادة الكرّة للجهاد عن طريق كوت الإمارة، وهكذا كان، فخاض الحبّوبي مع بقية العلماء والعشائر والجيش التركي معركة أُخرى ضدّ القوّات البريطانية الغازية، وكان النصر حليفهم هذه المرّة، إذ استطاعوا محاصرة الجيش الإنجليزي وأسر جميع أفراده وعددهم اثنا عشر ألف رجل، إضافة إلى قائده الجنرال طاوزند.

كان السيد الحبوبي أحد الإصلاحيين ومن طليعة الذين بان ولاؤهم وحبهم للوطن من خلال القول والفعل فمن شعره:

عرب معاطف غيدهم ورماحهم
سيان كل ينثني ميادا
سلّوا لواحظهم فكن صوارما
وغذت ذوائبهم لهن نجادا
فتخال كلا في المحاسن (يوسفا)
وتخال من (مصر) له (بغدادا)
يا ربع لذاتي ومربع جيرتي
روّى معاهدك الغمام وجادا
لا ابتغي للوصل فيك نهاية
أبدًا ولا للعيش فيك نفادا
لا ارتضي غير الاكارم معشرا
يوما ولا غير (العراق) بلادا

وفاته:

توفي السيد محمد سعيد الحبوبي رضي الله عنه عند العودة من الجهاد في مدينة الناصرية، وكان ذلك في ليلة الأربعاء في الثالث من شعبان المعظم سنة ١٣٣٣هـ، عن عمر ناهز السبعين سنة، وحمل جثمانه الشريف إلى مدينة النجف الأشرف، وصل إليها عصر يوم الجمعة في الخامس من شعبان، وخرج أهالي النجف الأشرف مستقبلين الجثمان وقد عطلت الأسواق، وأخذ النجفيون يرددون أهازيج الحزن أمام النعش، والعلماء وأهل العلم خلفه حتى أدخل الصحن العلوي الشريف وأقبر بعد الغروب بساعة في الإيوان الكبير في جهة القبلة في الحجرة رقم (١٠).

رثاه أغلب الشعراء ومنهم الشاعر محمد جواد الشبيبي بقصيدة مطلعها:

لواء الدين لفّ فلا جهاد
وباب العلم سدّ فلا اجتهاد

كما ارّخ وفاته محمد جواد الشبيبي إذ قال:

فقيد المسلمين غداة اودى
حسبتَ الدين بينهم فقيدا
وإن شهدته اعينهم سعيدا
فقد حملته أرؤسهم سعيدا
تقدم للجهاد امير دين
فساق المسلمين له جنودا
ومذ لاقى المنية أرخوه
(سعيد في الجهاد مضى سعيدا)

تغمده الله في فسيح جنانه وهو في رحاب نفس النبي الأكرم وسيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

١. مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف/ كاظم عبود الفتلاوي/ ٣٥١
٢. علماء في رضوان الله / محمد أمين نجف/ ٣٢٣
٣. شعراء الغري/ الشيخ علي الخاقاني/ ٩/ ١٤٧

إذا اغتبت أحدًا تطهّر

قال احد كبار العلماء: لما كنت في شبابي طالباً في مدرسة علمية تعرض بعض الأشخاص لغيبة آية الله العظمى السيد حجت ﷺ في المجلس الذي ضمني معهم، فاستمعت للغيبة انجرارا مع الجو الذي كان يحكم ذلك المجلس، هذا مع أن السيد كان أستاذي؛ لأني درست عنده مدة، وحصلت منه على جائزة في مسابقة علمية أجراها لنا مع طلبة آخرين.

فغدوت أعاتب نفسي لماذا سيطر عليَّ ذلك المجلس فاغتبت السيد، صرت بعد ذلك أبحث عن فرصة مناسبة لألتقي به وأسترضيه عني، حتى جاءت الفرصة كان السيد قادمًا إلى زيارة مرقد السيد عبد العظيم الحسيني في طهران، فذهبت إلى البيت الذي يقيم فيه لما فتحوا لي الباب قلت أخبروا السيد حجت إن فلانًا عند الباب، فأذن لي بالدخول أتذكر عندما دخلت رأيته واضعًا قلنسوة على رأسه متكئًا على مسند ويبدو عليه أثر المرض والتعب لشيخوخته.

قلت: سيدي جئت لأقول لك شيئًا، قال: ما هو، قلت: إنني اغتبتك بعض الشيء، ولكني استمعت إليها من الآخرين أكثر، والآن أنا نادم على ذلك بشدة، ولأني قررت أن لا أستغيبك مرة أخرى ولا أستمع للغيبة أيضًا جئت إليك لتعفو عني.

قال السيد حجت وبكل طيب وعظمة: إنّ الغيبة لأمثالنا على نوعين، تارة تكون الغيبة استهزاء بالإسلام وتوجيه إهانة للدين، وتارة تكون الغيبة موجهة لشخصي أنا، يقول هذا العالم: حيث إني عرفت ماذا يقصد السيد حجت أجبته: أنني ما أهنت الإسلام وإنما اغتبتك أنت شخصيًا فقال السيد: إذاً عفوت عنك.

ويضيف هذا العالم الذي نقل قصته في محاضرته حول التوبة وحقوق الناس: إن الانسان إذا أراد أن يتوب يلزمه إعطاء حقوق الناس التي عليه، فإذا اغتاب أحدًا أو اتهم أحدًا مثلًا وجب عليه أن يسترضيه واذا كان طرفه ميتًا، وجب عليه أن يستغفر الله على اغتيابه ويطلب المغفرة لأولئك ويحسن بالخيرات لهم حتى يجلب رضاهم.

ذلك هو العلّامة الشهيد آية الله المطهري، ولم يصل إلى الدرجة التي وصل إليها في حياته إلا بعد أن مارس الجهاد الأكبر لترويض نفسه.

مسابقـــة العـــدد 195

مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود أو عبر الرابط:

https://forms.gle/hf9rYkGhQjTYpdj59

علماً إن أجوبة الأسئلة تجدوها في مقالات هذا العدد

آخر موعد للمشاركة يوم 15 جمادى الأولى

هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام